القصة في سورة الكهف ﴿ دراسة تحليلية﴾

المدرس المساعد
سهير كاظم حسن
جامعة البصرة- كلية التربية

الملخص :

القصة في سورة الكهف هو موضوع بحثنا الذي تضمن دراسة القصص الموجودة في هذه السورة ، وهي أربعة قصص : قصة أصحاب الكهف ، وقصة صاحب الجنتين ، وقصة موسى (عليه السلام) والعبد الصالح ، وقصة ذي القرنين .

وقسم البحث الى قسمين هما :الدراسة الدلالية للقصص الأربعة والدراسة الثانية هي تشكيل المشاهد في هذه القصص .

والنتائج التي خلصنا لها في هذا البحث هي أن المنهج المتبع في هذه القصص هو المنهج الوصفي ، اذ فيها وصف للشخصيات والأماكن ، وكانت الفكرة الرئيسية التي تضمنتها السورة هي نبذ زينة الحياة الدنيا والسعي وراء زينة الآخرة.

وتجردت القصص في هذه السورة عن تحديد الزمان والمكان والشخصيات ، باستثناء تحديد شخصية النبي موسى (ع) التي كانت قصة ذات طابع تعليمي .

Summary

The story is surat Al-cave is the subject of our research which includes studying the stories present in this surat which are four stories : the story of the cave' s young's , the story of owner of two paradise' s ,the story of Mousa and the good slave and the story of Thy Al-qarnain .The manuscript was divided in to two parts : the first is the meaning s of the four stories and the second is scenes formation in these stories . The results which are obtained in this research is that the style followed in these stories is the descriptive style became they include description of the cave's young's and places . The main idea in this surat is to leave embellishment of life and working for the last word . The stories in this surat didn't include description of the exact time , place and characters except prophet Mousa character which was an educational style story.

المقدمـــــة :

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وخاتم النبيـــين محمد صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين.

عند دراسة سورة الكهف والوحدات الدلالية التي تحكم علاقتها يتعيّن علينـــا الإشارة الى موقع القصة في هذه السورة، فهي ليست مجرد شكل فني يستقل بذاته، بل هي عنصر مهم يوظف لإنارة مضمونات النص القرآني، وهي وســيلة فنيـــة تجسد صورة مقرّبة الى الواقع، تحاكي الحدث، وتشكله لغويـــاً فـــي بنـــاء فنـــي وموضوعي.

والقصص القرآني له منهج متفرد في تشكيل المشهد، وفـــي تكـــوين هويتـــه البنائية، فهو يجمع بين الوسيلة والغاية، أي بين العرض الفني والغرض الـــديني. ويكون الخيال في هذا النوع من القصص صادقاً، يصوّر الواقع بكل أمانة، فيجعل القصة القرآنية تبدو كالمرآة التي تعكس لنا المشاهد في داخلها.

وسورة الكهف سورة مكية، إلا آية:((**وأصبرْ نفسَـــك معَ الذينَ يدعونَ ربَّـــهُمْ بالغداةِ والعشيِّ يُريدونَ وجهَهُ ولا تعدُ عيناكَ عنهُم تريدُ زينة الحياةِ الـــدنيا ولا تطعْ من أغفَـــلـــْنا قلبَهُ عن ذكرنا واتـــّبَعَ هواهُ وكان أمرُهُ فُرُطاً** ﴿٢٨﴾)).وعـــدد آيات هذه السورة مئة وعشر آيات. وتتضمن أربع قصص،وهي على التوالي:قصة أصحاب الكهف ، وقصة صاحب الجنتين ،وقصة النبي موســـــى (عليه السلام) والعبد الصالح ،وقصة ذي القرنين.

وقد اخترنا هذه السورة لاحتوائها على أربع قصص مستقلة عن بعضها في الأحداث، مشتركة مع بعضها في الدعوة الى الله، والتمسك به. فأردنا بذلك الوقوف على الأسلوب الإعجازي في عرض الأفكار التي تدعو لها السورة، مـــن خـــلال دراستها وتحليلها- على المستوى الدلالي، وعلى مستوى تشـــكيل المشـــاهد فـــي قصصها.

و قمنا بدراسة السورة دراسة وصفية ، فبيّنا فيها دلالة الألفاظ المهمة فيها، ثم قمنا بشرح القصص الواردة فيها، ثم عرضنا للأفكار التي يمكن اســـتنتاجها مـــن

السورة. وبعد ذلك وضحنا المشاهد في كل قصة من قصص هذه السورة. وبـذلك نكون قد درسنا القصة والوحدات الدلالية التي تحكم علاقاتها.

أما الكتب التي استعنا بها فهي من أمهات الكتب مثل كتاب العين ومعجم لسان العرب ،فضلا عن كتب التفسير مثل كتاب الكشاف للزمخشري ،ومجمـع البيـان لعلوم القرآن للطبرسي ،والميزان للطباطبائي ، كما استعان البحث بأهم الكتب فـي القصص القرآني مثل كتاب التصوير الفني في القرآن للسيد قطب .

((المبحث الأول))

التحليل الدلالي

يُـعرّف علم الدلالة بأنّـه علم المعنى، إذ لا يمكن أن تكون هناك لغة بـدون معنى[١] ، فهو المحصلة النهائية لتحليل التحدث اللغوي على مستويات اللغة كافـة: المعجمية، والإجتماعية، والصرفية، والنحوية [٢] . وينطلق البحث الـدلالي مـن المفردات ، لأنّ الكلمة هي إحدى الوحدات الأساسية لعلم الدلالة[٣] ، لذلك سـنقوم بدراسة الدلالة المعجمية للكلمات، ثم الدلالة السياقية لبيان المعاني العامة الموجودة في سورة الكهف لغرض الوقوف على الأفكار التي تهدف إليها. ويتمّ ذلـك مـن خلال دراسة الكلمات وهي مرتبطة مع بعضها في سياقات مختلفـة، إذ أنّ نسـبة كبيرة من الكلمات لا يتضح معناها المحدّد إلاّ باستعمالها الى جانب غيرها. ومـن الصعب أن نستدلّ على معناها بغير استرشاد بالكلمات المحيطة بها. لـذلك قمنـا بتقسيم هذا المبحث الى قسمين: الأول يتناول الدلالة الخاصة (المعجمية)، والثاني يتناول الدلالة العامة ، والتي توضح كل قصة من قصص السورة، كمـا توضـح الأفكار التي تهدف اليها السورة.

١- <u>الدلالة الخاصة (المعجمية)</u>

وهنا سيقوم البحث بدراسة ألفاظ معيّنة وردت في سورة الكهـف، جـاءت منسجمة مع الموقف، ومعبّرة عن الحدث، كما أنّها أسهمت كثيراً فـي توضـيح

الأفكار التي دعا لها الخالق في هذه السورة. لذلك سنقوم بتوضيح معنى الكلمة وهي مفردة، ثم بيان المعنى الذي أفادته في سياق الجملة.

وقد ابتدأ الله تعالى السورة بـ (الحَمْد) ويُقصد به الثناء[٤] ، والحَمْد والمَدح والشكر متقاربة المعنى، إلاّ أنّ الفرق بينهم، أنّ الحمد نقيض الذمّ، والمدح نقيض الهجاء، والشكر نقيض الكفران[٥] .

وفي قوله تعالى: ((**الحَمْدُ للهِ الذي أنزَلَ على عبدِهِ الكتابَ ولم يجعلْ لَّهُ عِوَجاً** ﴿١﴾)) **الكهف**. هنا يلقّن الله عباده حمد نفسه وما ينبغي أن يتأدب العبد عند نصب نفسه مقام العبوديّة، ويفقههم كيف يثنون عليه، لما أنعم عليهم من نعمة الإسلام، وما أنزل على عبد محمد (صلى الله عليه وآله) من القرآن الذي لا تناقض في معانيه، ولا اختلاف فيها، فجاء معتدلاً مستقيماً، يبشّر المؤمنين بأنّ لهم الجنّة خالدين فيها، وينذرالذين كفروا بالعذاب الشديد. لذلك كان لزاماً على كل عبد يؤمن بالله أن يحمده ويثني عليه[٦].

ومن الألفاظ المهمة التي سنقف عندها لفظ ((زينة)). فقد ورد هذا اللفظ في بداية سورة الكهف في قوله تعالى: ((**إنّا جَعَلْنا ما على الأرضِ زينةً لها لنَبْلُوَهُمْ أيُّهُمْ أحْسَنُ عَمَلاً** ﴿٧﴾)) **الكهف**. والزينة مأخوذة من الزَّيْن ، وهو نقيض الشَّيْن[٧]، ((والزينة: الأمر الجميل الذي ينضم الى الشيء فيفيده جمالاً يُرغَب لأجله))[٨]. وقد جعل الله تعالى ما على الأرض من أمتعة الحياة من بساتين وأنهار وأشجار وأموال وأولاد وجاه أمراً محبباً الى قلوب البشر، فكان ما على الأرض وهو جميل عندهم محبوب في أنفسهم زينة وحلية يتحلّون بها، لكونه عليها، فتتعلق نفوسهم على الأرض بسببه، وتطمئنّ إليها.

وإنّما حبّب الله الزينة الى نفوس البشر، ليختبرهم، وليتبيّن من الذي يعمل من أجل الحصول على زينة الآخرة، ومن الذي يعمل من أجل الحصول على أمتعة الدنيا وزينتها.

وقد تكرّر لفظ ((زينة)) أكثر من مرة في سورة الكهف، فقد ورد في قوله تعالى: ((....**ولاتعدُ عيناك عنهم تريدُ زينة الحياة الدّنيا ...** ﴿٢٨﴾)) **الكهف**. كما

ورد في قوله تعالى : ((**المالُ والبنونَ زينةُ الحياةِ الدنيا والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عند ربِّك ثواباً وخيرٌ أملاً** ﴿٤٦﴾)) **الكهف**. ولظاهرة التكرار دلالات خاصة وعديدة منها التأكيد وتقوية المعنى(٩). وهذه الدلالة تتناسب مع تكرار لفظ ((زينة)) في هذه السورة، إذ أنّ الهدف منه هو التأكيد على فكرة نبذ زينة الحياة الدنيا، وعدم جعلها غاية يسعى المرء جاهداً للوصول إليها، والحث على التعلّق بما يوصل الى زينة الآخرة، من الإيمان بالله تعالى وطاعته والعمل في سبيله، ولذلك ذكر زينة الآخرة بقوله: ((**إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لا نُضيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عملاً** ﴿٣٠﴾ **أولئك لهم جنّاتُ عَدْنٍ تجري من تحتها الأنهارُ يُحَلَّوْنَ فيها مِن أساورَ مِنْ ذَهَبٍ ويَلبسونَ ثياباً خُضْراًمِنْ سُنُدسٍ واستبرق مُتّكئين فيها على الأرائك نعم الثوابُ وحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً** ﴿٣١﴾)) **الكهف**.

ففي هاتين الآيتين يبيّن الله تعالى أنّ جزاء المؤمنين هو الإقامة الخالدة في الجنّة متنعّمين بكلّ ما فيها من أمتعة وزينة من الأشجار والأثمار والأنهار، والحليّ والمجوهرات، واللباس الحرير....الخ، وهذا هو أجرهم من الله، جزاءاً لإيمانهم وإحسانهم، ولما قدّموا من عمل صالح في سبيل الله.

ومن الدلالات الأخرى لظاهرة التكرار هو التقسيم وقد عرّفت نازك الملائكة هذا النوع من التكرار بقولها: " تكرار كلمة أو عبارة في ختام كل مقطوعة....والغرض الأساسي في هذا الصنف من التكرار إجمالاً أن يقوم بعمل النقطة في ختام المقطوعة، ويوحد القصيدة في اتجاه معيّن"(١٠). ويمكن أن يمثل لفظ ((زينة)) في سورة الكهف تكرار التقسيم، لاسيما وأنَّه ورد في بداية السورة قبل البدء بقصة أصحاب الكهف، ثم تكررّت بعد الإنتهاء من قصة الكهف، وقبل الإبتداء بقصة صاحب الجنتين، ثم تكررت للمرة الثالثة بعد الإنتهاء من هذه القصة. وهنا عمل لفظ (زينة) عمل النقطة بعد قصة أصحاب الكهف وبعد قصة صاحب الجنتين، كما أنّها وحّدت هاتين القصّتين باتجاه واحد وفكرة واحدة، وهي الفكرة التي ذكرناها سابقاً- وهي نبذ زينة الحياة الدنيا والسعي الى زينة الآخرة

بالعمل الصالح- إذ أنّ الله قادر على أن يمحو كل أثر للزينة على وجه الأرض، ولا يفيد الإنسان شيئاً إلا عمله، وهذه الفكرة هي التي جاءت في بداية السورة في الآية السابعة التي ذكرناها سابقاً.

وننتقل الى لفظ آخر في سورة الكهف وهو لفظ (صعيد) ويقصد به وجه الأرض(١١). وقد ورد هذا اللفظ في قوله تعالى: **((وإنّا لجاعلون ما عليها صعيداً جُرُزا(٨))) الكهف**. وهنا يبيّن الله تعالى أنّه قادر على أن يمحو هذه الزينة التي زيّن بها وجه الأرض، فيجعل الأرض تراباً مستوياً أملساً لا نبات فيه ولا نضارة عليه.

وقد عدّ بعض المفسّرين قوله تعالى في هذه الآية من الإستعارة بالكناية، والمراد به قطع رابطة التعلّق بين الإنسان وبين أمتعة الحياة الدنيا مما على الأرض(١٢).

وتكرر لفظ (صعيد) في سورة الكهف في قصة صاحب الجنتين، إذ قال تعالى: **((فعسى ربّي أن يُؤتيَني خيراً مِنْ جنّتِكَ ويُرسلَ عليها حُسْباناً من السماء فتُصبحَ صعيداً زَلَقاً ۞)) الكهف**. وهنا تبيّن الآية أنّ الرجل الفقير كان مؤمناً بأنّ الله قادر على أن يرزقه جنة أكبر وأفضل من جنة صاحبه الغني، كما أنّه قادر على أن يحوّل جنّة هذا الأخير من بساتين غنّاء الى أرض ملساء تزلق القدم عليها، لشدة تماسك ترابها. ولو عدنا الى الآيتين الشريفتين اللتين ورد فيهما لفظ (صعيد)، لوجدنا هذا اللفظ فيها جاء موصوفاً. ففي الآية الثامنة قال: **((صعيداً جُرُزا))**، والجُرز هو النبات المنقطع من أصله وجذوره(١٣). أما في الآية الأربعين قال: **((صعيداً زَلَقاً))**، والأرض الزّلق هي الأرض الملساء الصلدة، التي لا تثبت القدم عليها(١٤). ونستنتج من هذا أنّ الأرض اذا قُطع نباتها من أصله، ربّما يمكن إعادة زرعها من جديد، كما يمكن التمشي عليها، إلاّ أنّ الأرض المزلقة لا يمكن الإستفادة منها [بأي حال من الأحوال، إذ أنّ الأرض الصلدة الملساء تكون جزيئاتها متقاربة جداً، والفراغات بينها تكون شبه معدومة، مما يؤدي الى أن تكون الأرض صقيلة، فلا يمكن لنبات أن يحيى عليها، وهذا يعني أنّ الزلق أشدّ وأقوى من الجُرز، ولذلك دعا الفقير بأن تصبح أرض الغني

زلقاً، لأنّ ذلك يعني عقاباً شديداً من الله لصاحب الجنّـتين، لما أبداه من تكبّر على الله وتفاخر على الفقير وكفران لأنعم الله.

وعلى الرغم من الإختلاف الدقيق بين الصعيدين، إلاّ أنّ تكرار لفظ صعيد هنا كان لغرض تأكيد فكرة أنّ الله الذي زيّن الأرض بكل مايمتع الإنسان، قادر على أن يمحو هذه الزينة، لأنّها ليست هي التي تخلّـد الإنسان ، وإنما أعماله الحسـنة والصالحة هي التي تخلّده. كما أنّ افتخار المرء يجب أن لا يكون بزينـة الحيـاة الدنيا، وإنّما يجب أن تكون طاعته لله سبب افتخاره.

ونقف بعد ذلك عند لفظ (باخع) الوارد في الآية الكريمة: ((**فلعلّك باخعٌ نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أَسَـفاً** ﴿٦﴾)) **الكهف**. والبخـوع هـو (القتل والإهلاك)[١٥]. ويعني ذلك فلعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها، لفرط حزنك على ما أبداه الكفار من إعراض عن القرآن وقد استعير لفظ (آثارهم)- وهي علائم أقدام المارة على الأرض- للدلالة على تولّي الكفار وإعراضهم عن آيات الله[١٦].

ولو عدنا الى ا للفظ (باخع) لوجدناه لفظاً واحداً صوّر حالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بكل دقة، فهو ليس مجرد انفعال بسيط ويزول بعد مدة، بل هو ألم حقيقي يكاد يتسبب في قتل النبي (صلى الله عليه وآله).

ومن الألفاظ المهمة التي سنقف عندها لفظ (الكهف) – الذي سمّيت السـورة باسمه- وهو (كالمغارة في الجبل، إلاّ أنّه واسع، فإذا صغر فهو غـار)[١٧]. وقـد ورد لفظ (الكهف) ست مرات في هذه السورة، قـال تعـالى : ((**أم حسـبْتَ أنَّ أصحابَ الكهفِ والرّقيمِ كانوا من آياتنا عَـجباً** ﴿٩﴾ **إذ أوى الفِـتيةُ الى الكهفِ فقالوا ربَّنا آتِنا من لدُنك رحمةً وهيّء لنا من أمرنا رَشَـدا** ﴿١٠﴾ **فـضَـربْنا على آذانهم في الكهف سنينَ عددَا** ﴿١١﴾)) **الكهف**. ثم قال تعالى في موضع آخر من السورة: ((**وإذ اعتزلتموهم وما يعبُـدون إلاّ اللهَ فـأووا الى الكهفِ ينشـر لكم ربُّـكُـم من رحمتِـهِ ويُـهيّء لكم من أمركم مرّفقاً (١٦) وترى الشـمس اذا طلعت تزاورُ عن كهفِـهم ذاتَ اليمين وإذا غربَـتْ تّقرضُـهم ذاتَ الشـمالِ وَهُـمْ في فَـجْـوَةٍ منه ذلك من آيات الله من يَـهدِ فهو المُـهْتَدِ ومَنْ يُـضْلِلْ**

فلَنْ تَجِدَ له وَلِيّا مُرْشِـداً ﴿١٧﴾)) الكهف. ثم قال عزّ وجلّ: **((ولَبِثوا في كهفِـهِمْ ثلاثمئة سنينَ وازدادوا تسعاً ﴿٢٥﴾)) الكهف.**

وبيّن الدكتور عبدالله الطيّب أنّ للتكرار دلالات عامة وضـحّها بقولـه: ((إنّ الغرض الرئيس من التكرار هو الخطابة)): أن يعمد الأديب الـى تقويـة ناحيـة الإنشاء ((أي ناحية العواطف، كالتعجب، والحنين، والإستغراب))[١٨]. وهذا يعنـي أنّ تعجب الكفار من قصة أصحاب الكهف ربّما كان هو السبب في تكرار الكلمة، إذ أنّهم لا يؤمنون بقدرة الخالق على البعث والإحياء من جديد، فكيـف سـيؤمنون بأنّه قادر على أن يُنيم أحداً لمدّة تزيد على ثلاثة قرون ثم يوقظهم من جديد؟ ومـا يؤيد هذا الرأي قوله تعالى: **((أم حسـبْتَ أنّ أصـحاب الكهف والرقيم كانوا مـن آياتنـا عجباً ﴿٩﴾)) الكهف.**

أما الدلالة الخاصة لتكرار لفظ (الكهف) فهو التأكيد على أن قصـة أصـحاب الكهف قصة حقيقية، وأنّ الله قادر على ما يشاء، وكذلك للتأكيد على مكان الكهف ، اذ أنّ المدة الزمنية الطويلة من حياتهم قد قضوها في الكهف، وليس في مكـان آخر. ولو عُـدْنا مرة أخرى للآيات التي ورد فيها لفظ (الكهف) لوجدناها تصوّر– الى حدما – حياة الفتية داخل الكهف، وتبيّن قدرة الخالق العظيمة والمعجـزة فـي جعلهم ينامون هذه المدة الطويلة، وفي رعايتهم الرعاية التامة والكاملة طيلة مـدة بقائهم في الكهف، وحتى وفاتهم.

وقد ورد في الآية التاسعة– المتقدم ذكرها– عبارة **((أصحاب الكهف والرّقيم))** وهذا يقودنا الى دراسة لفظ (الرّقيم) وهو مأخوذ من الرّقم، ويُقصـد بـه تعجـيم الكتاب، أو الخط الغليظ[١٩]. وهذه التسمية – أصحاب الرّقيم– فيها أكثر من رأي، فبعضهم يرى أن قصة أصحاب الكهف كانت منقوشة في لـوح منصـوب عنـد الكهف، أو محفوظ خزانة الملوك، وبعضهم يرى أن الرّقيم اسم الجبل الـذي فيـه الكهف، أو الوادي الذي فيه الجبل، أو البلد الذي خرجوا منه الى الكهف. وبعضهم يرى أنّه اسم الكلب الذي كان معهم[٢٠]. إلاّ أنّ البحث يذهب الى تـرجيح الـرأي الأول، وهو كتابة أسمائهم في لوح منصوب عند الكهف، إذ أنّ أصحاب الكهـف

يمثلون آية عجيبة من آيات الله، لِما في قصتهم من خروج عن المألوف، فهي دليل واضح على قدرة الله العظيمة واللامتناهية في الإعجاز. ثم إن قول الذين غلبوا الوارد في الآية: ((....**فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربُّهم أعلمُ بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذنّ عليهم مسجداً** ﴿٢١﴾)) **الكهف**. إن هذا القول يدلّ على أنّه لا بّد من وجود كتابة لأسماء أصحاب الكهف على هذا البنيان أو المسجد ليكون دليلاً على وجودهم في هذا المكان، انهم في ذلك شأن جميع الأموات الذين تُنقَش أسماؤهم على قبورهم. فضلاً عن أنّهم – أي أصحاب الكهف– ضربوا أروع الأمثلة في الإيمان بالله، وهو ما يستحق تخليدهم بنصب تُكتب عليه أسماؤهم.

وورد في الآية السابع عشرة من سورة الكهف– والمتقدم ذكرها– لفظا (تزاوَرُ)، (تقرض) ليبينا حالة الشمس عند دخولها الكهف. فاللفظ (تزاوَرُ) مأخوذ من الزَّوَرُ، وهو المَيَل[٢١]، و(تقرض) من القَرْض وهو القطع[٢٢]. فاذا طلعت الشمس تتزاور وتتمايل عن كهفهم جانب اليمين. واذا غربت تقطع جانب الشمال، فيقع شعاعها عليه، وأصحاب الكهف في مكان واسع منه منفتح– لا تناله الشمس. إذ أنّ (الكهف لم يكن شرقياً ولا غربياً.... بل كان قطبياً يحاذي ببابه القطب فيقع شعاع الشمس على أحد جانبيه من داخل طلوعاً وغروبا، ولا يقع عليهم لأنّهم كانوا في متسع منه فوقاهم الله بذلك من أن يؤذيهم حر الشمس أو يغيّر ألوانهم أو يبلي ثيابهم بل كانوا مرتاحين في نومهم مستفيدين من روح الهواء المتحوّل عليهم بالشروق والغروب وهم في فجوة منه)[٢٣] . وهذا الوضع الذي كان فيه أصحاب الكهف هو عناية من الله ليستبقيهم حتى يبلغ الكتاب أجله، ولذلك قال تعالى في الآية نفسها: ((**ذلك من آيات الله من يَهدِ فهو المُهْتَدِ ومَنْ يُضْلِلْ فلَنْ تَجِدَ له وَليّا مُرْشِداً**)).

وننتقل الى لفظ آخر وهو (الرجم)وهو الرمي[٢٤]، ويُستعار للرمي بالظن[٢٥]. وقد جاء هذا اللفظ في سورة الكهف في قوله تعالى: ((**سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قُلْ ربّي أعلم بعّدتهم وما يعلمهُم إلاّ قليل فلا تمارِ فيهم إلاّ مِراءاً ظاهراً ولا**

تَسْتَفْتِ فيهم منهم أحداً ﴿٢٢﴾)) **الكهف**. ففي هذه الآية يبيّن الله سبحانه وتعالى اختلاف الأقوال في عدد أصحاب الكهف، فبعضهم يرى أنهم ثلاثة ورابعهم كلبهم، وبعضهم يرى أنهم خمسة سادسهم كلبهم، وهذان الرأيان غير صحيحين، ولذلك وصفهما الله بأنهما ظناً بالغيب[٢٦]، ورمياً بالخبر الخفي[٢٧]. وكان القول الثالث هو الصحيح، لأنّه لم يعقب بشيء يدلّ على تزييفه، ولأنّ (الواو)التي وقعت قبل (ثامنهم) حين وقعت ((إنقطعت العدّة، أي لم يبقَ عدّة عادّ يُلتفت إليها، وثبت أنّهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات))[٢٨].

وورد في الآية نفسها لفظ (تُماري) في قوله تعالى: ((**فلا تمار فيهم إلاّ مِراءاً ظاهراً**)). واللفظ مأخوذ من المِرْية، وهو ((التردد في الأمر، وهو أخصّ من الشك...والإمتراء والمُماراة: المحاجّة فيما فيه مِرْية))[٢٩]. والمقصود هنا لا تجادل يامحمد إلاّ جدالاً ظاهراً، فلا تتعمقّ فيه واقتصر على ما جاء به القرآن، ولذلك لم يقل تعالى: ولا تجادلهم؛ لأنّ الجدال هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة[٣٠]. وقد قال تعالى في آية أخرى في سورة الكهف: ((...**وكان الإنسانُ أكثرَ شيءٍ جَدَلاً** ﴿٥٤﴾)) **الكهف**. إذ أنّه أكثر مخلوق يجادل، كما قال في آية أخرى في السورة نفسها: ((... **ويجادل الذين كفروا بالباطل ليُدحضوا به الحقّ واتخذوا آياتي وما أنذِروا هزواً** ﴿٥٦﴾)) **الكهف**. فمعنى الجدال– المتقدم ذكره– ينطبق على حال الكافرين الذين يكثرون الجدال لإثبات صحة رأيهم على سبيل المغالبة، حتى وإن كانوا يعلمون خطأ رأيهم. لذلك جاء لفظ (تماري) متناسباً مع موقف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجاء لفظ الجدال مناسباً لموقف الإنسان الكافر.

وورد لفظ (تستفت) في الآية– الثانية والعشرين أيضا في قوله تعالى: ((**ولا تَسْتَفْتِ فيهم أحداً**)). واللفظ مأخوذ من الفُتيا والفَتوى، وهو الجواب عما يُشكل من الأحكام[٣١]، وتبيين المبهم[٣٢]. والمقصود هنا لا تستخبر يا محمد في أهل الكهف[٣٣]، فلا تسأل في عددهم، واكتف بما أنزل الله عليك لئلا يرجع الناس الى اليهود فيسألوهم.

وهنا لم يقل تعالى: ((لا تعدّهم)) أو ((لا تستخبر))، وإنّما قال: ((لا تستفتِ)) لأنّها تدلّ على الإستخبار أكثر من مرة، لذلك جاءت اللفظة منسجمة مع الموقف، ومع استخبار الناس عن عددهم، وتفاوتهم في العدد زيادة وقلّة.

ونقف بعد ذلك عند اللفظ ((لبثوا)) الذي ورد في قوله تعالى: ((**ولبثوا في كهفهم ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعاً** ﴿٢٥﴾)) **الكهف**. المراد بـ (اللُّبْث) المُكْث[٣٤]. ولبثوا: أقاموا[٣٥]، والإقامة لا تكون إلاّ للأحياء فقط، فلا يُقال للميت أقام في قبره. ولو أخذنا لفظ (لبثوا) وحده لدلّ على أنّ أصحاب الكهف قد أنامهم الله لمدة طويلة، ثم أيقظهم، وهذا ما يؤيده رأي الزمخشري: ((يريد لبثهم فيه إحياء مضروباً على آذانهم هذه المدة))[٣٦].

ونجد في هذه الآية أيضاً لفظ ((ازداد)) الذي جاء مناسباً في موقعه بشكل معجز، ومؤيداً لغرضه، فقد رُوي أنّ يهودياً سأل علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن مدّة لبث أهل الكهف، فأخبر بما في القرآن، فقال اليهوديّ: إنا نجد في كتابنا ثلاثمئة، فقال (عليه السلام): ذاك بسنِيّ القمر[٣٧]. وازداد يعني أن ينضم الى ما عليه الشيء في نفسه شيء آخر[٣٨]. لذلك جاء هذا اللفظ ليحسم الخلاف بين المسلمين وغيرهم، ذلك أنّهم لو حسبوا المدة على السنين الشمسية فستكون ثلاثمئة، وإن كانت حسب السنين القمرية فالمدة ستكون ثلاثمئة وتسعة سنين، فالإختلاف بين النوعين تسع سنين، لذلك قال تعالى: ((**وازدادوا تسعاً**)) لتكون العبارة جامعة للحسابين في آن واحد، بسبب وجود اللفظ (ازداد).

وننتقل الى آية أخرى؛ لنأخذ لفظاً آخر هو ((مُلْتَحد)) الوارد في قوله تعالى: ((**واتلُ ما أوحي إليك من كتاب ربِّك لا مُبَدِّل لكلماتهِ ولن تجدَ من دونهِ مُلْتحداً** ﴿٢٧﴾)) **الكهف**. ويُقصد باللّحد: الحُفرة المائلة عن الوسط، ولحد قبره: حفره، والتحَد: مال إليه[٣٩]. ومعنى الآية: اتلُ يامحمد كتابَ ربِّك لأنّه لا مُغيّر لكلماته فهي حَقّة ثابتة، ولأنّك لا تجد من دونه ملتحداً أو ملجأ تميل إليه، فالرسول لا ملجأ له إلاّ مُرسِله[٤٠]، ويؤيّد هذا المعنى قوله تعالى في سورة

الجن: ((**قُلْ لَّن يُجيرَني مِنَ اللهِ أحدٌ ولن أجِدَ من دونِهِ مُلْتحداً إلاّ بلاغاً من رسالاته﴿٢٣﴾**)).

ونأخذ لفظاً آخر من سورة الكهف، وهو اللفظ ((يحاور)) الذي جاء في قوله تعالى: ((...**فَقالَ لِصاحبِهِ وَهُوَ يُحاورُه أنا أكثرُ منك مالاً وأعَزُّ نَفراً٣٤**)). وهذا اللفظ مأخوذ من حاور يحور حَوْراً بمعنى التردّد، والحوار يعني المرادّة في الكلام[٤١]، والمخاطبة والمراجعة[٤٢].

ومن هذه المحاورة يستدل البحث على أن الحديث بين الرجلين كان هادئاً بدون تنازع، وربّما كان ذلك ليثبت كل واحد منهما صحة رأيه، فيقنع الآخر به. والإقناع لا يتم بالتنازع في الأقوال والأفعال، وإنما بالحوار الهاديء. ففي قصة أصحاب الكهف كان اللفظ (وتنازعوا) لأنّ الخلاف بينهما كان كبيراً، وكل واحد من الطرفين– المسلم وغيره– يريد أن يستأثر بالكهف لنفسه؛ لعلمه أنّه هو الذي على الحقّ، ولا بدّ أن يتخذه مكاناً ينشر دينه من خلاله. فضلاً عن أنّ عدد الأشخاص المتنازعين– من الطرفين– كان كبيراً، مما يبيّن سبب النزاع، أما في قصة صاحب الجنتين فكان الحوار بين اثنين فقط، وكان الهدف من الحوار هو بيان رأي كل واحد منهما، بهدف إقناع الآخر به، دون اللجوء الى إجبار أحدهما على الأخذ برأي الآخر.

ونأخذ لفظ ((مُشفقيين)) الذي جاء لبيان حال المجرمين يوم القيامة، في قوله تعالى: ((**ووُضِعَ الكتابُ فترى المجرمين مُشفِقين ممّا فيه ويقولون ياوَيْلتَنا مالِ هذا الكتابِ لا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحْصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولايظلمُ ربُّك أحَداً﴿٤٩﴾**)). والإشفاق هو الخوف من وقوع مكروه مع تجويز ألا يقع[٤٣]. وأصله الرقة، ومنه الشفق وهو الحمرة الرقيقة التي تكون في السماء[٤٤]. والإشفاق إذا عُدِّي بـ(من) فمعنى الخوف أظهر، وإذا عُدِّي بـ(في) فالعناية أظهر[٤٥]. ويتضح في هذه الآية أن الخوف أظهر؛ لسببين، أولهما: وجود (من) في العبارة التي توضح حال المجرمين يوم القيامة، فحين يوضح الكتاب ترى المجرمين مما فيه مشفقين. وثانيهما: قوله تعالى في الآية نفسها– على

لسان المجرمين: ((يا ويلتنا مالِ هذا الكتــابِ لا يغــادر صــغيرة ولا كبيــرةً إلاّ أحصاها)). وهذا يدلّ على خوفهم الشديد مما عملوا في حياتهم الدنيا.

ونقف بعد ذلك عند لفظ ((فسق)) الوارد في قوله تعالى : ((**وإذ قــلْــنا للملئكة اسجدوا فســَــجَدوا إلاّ إبليس كان من الجنِّ فــفَسَــقَ عن أمرِ ربّه ِ ...** ﴿٥٠﴾)). ومعنى (الفسق) خروج الإنسان عن الشرع، وتركه لأمر الله[٤٦]، وجاء هذا المعنى من قول العرب: ((فَسقَ الرُّطَب، إذا خرج عن قِشره، وهو أعمّ من الكفر. والفسق يقع بالقليل والكثير من الذنوب، لكن تعورف فيما كان كثيراً. وأكثر ما يُقال الفاسق من التزم حكم الشرع وأقرّ به، ثم أخلّ بجميع أحكامه أو ببعضه))[٤٧]. وهذا المعنى يتلائم مع موقف إبليس الذي كان يعبد الله، ويسجد له، ويشارك الملائكة في عبادتهم لله، إلاّ أنّه خرج عن طاعة الله بعدم امتثاله لأوامره وامتناعه عن السجود لآدم (عليه السلام)، وهو بذلك خرج عن شرع الله بعد أن كان مُــقرّاً به، فعَدّه اللهُ فاسقاً.

ونأخذ بعد ذلك لفظ ((عَــضُد)) الوارد في قوله تعالى: ((.... **ومــا كنــــتُ مُــتّخِذَ المضلّيــن عَضُداً** ﴿٥١﴾)). والعضد هو ما بين المرفق الى الكتف[٤٨] مــن الإنسان. ويُستعار هذا اللفظ للمعين[٤٩]. فيكون المقصود بالآية الشــريفة، أنّــه لا يمكن أن يستعان بالكافرين كما يُستعان باليد؛ لغرض قضاء الحاجات.

ومن الألفاظ الأخرى التي تعرض البحث لدراستها لفظ (مَــوْبِق) الذي ورد في السورة نفسها، في قوله تعالى: ((**ويومَ يقولُ نادوا شُــــركائي الــذينَ زَعَمْــــتُم فدَعَوْهم فلم يَســتجيبوا لهم وجعلنا بينَهُمْ مَوْبِقاً** ﴿٥٢﴾)). وهذا اللفظ مأخوذ من وبَقَ ((إذا تثبّط فهلك))[٥٠]، والمعنى جعلنــا بــين المشــركين وشــركائهم محــل الهلاك[٥١]. ويُقال أن الموبق اسم وادٍ عميق فرّق الله بين أهــل الضــلالة وأهــل الإيمان، أو هو حاجز بين المعبودين وعبدتهم[٥٢]. وربما كان المراد مــن جعــل الموبق بين المعبودين وعبدتهم هو إبطال الرابطة، ورفعها من بينهم، وقــد كــانوا يرون في الدنيا أنّ بينهم وبين شركائهم رابطة الربّوبية والمربوبيّة، ويدلّ على ذلك

قوله تعالى في الآية نفسها: ((**نادوا شركائي**)) والنداء إنّما يكون في البعيد، وهذا يدلّ على بعد ما بينهما(٥٣).

وننتقل الى آية أخرى في سورة الكهف؛ ونقف عند لفظ (أكنّــة) الذي ورد في قوله تعالى: ((**ومَــم أظْــلَمُ ممّــن ذُكّر بآياتِ ربّهِ فأعرضَ عنها ونَــسِــيَ مــا قدّمت يداه إنّا جعلْنا على قلوبــهم أكِــنّة أن يفقهوهُ وفي آذانِــهــمِ وَقــراً وإنْ تَدْعُــهُم إلى الهدى فلَنْ يهتدوا إذاً أبدا** ۝٥٧)). والأكِــنّة جمــع كنــان، وهــو الغطاء الذي يكنّ فيه الشيء، وقيل معناه في غِطاء عن تفهّم ما يورده الله(٥٤). من هذا يستنتج البحث أنّ الله علل إعراض الكفار ونسيانهم بأنّهم قد طُبع على قلــوبهم وثقُلت أسماعهم، والنتيجة لهذا الطبع والوقر أنهم لن يهتدوا إذاً أبدا. وقــد جــاءت (لن) التي تنفي المستقبل، فضلاً عن وجود (أبداً) في الآية، وهذا يدلّ على استحالة هداية هؤلاء الكفار المجادلين الذين يهزؤون بآيات الله.

وبعد أن بيّنا معنى (ملتَحد) وهو الملجأ الذي يُــمال إليه، نجد لفظاً آخر بمعنى ملجأ، واللفظ هو (مَــوْئل) الوارد في قوله تعالى: ((**وربُّــك الغفورُ ذو الرحمةِ لو يُــؤاخذهم بما كسبوا لعجّل لهم العذابَ بل لهم موعدٌ لــن يجــدوا مــن دونــه مَوْئلا** ۝٥٨)). ويُــقصد بـــ (الموْئل) الملجأ والمنجى، فيُقال: ألَّ، إذا نجــا(٥٥). وبهذا فأنّه يختلف عن (ملتحد)، إذ لا يُعَــدّ كلّ ملتحد مكاناً ينجو المرء فيه. ومعنى الآية الشريفة، أنّ الله يستطيع بقدرته أن يعجل العذاب للمجرمين والكفار، إلاّ أنّــه أجلّه الى يوم القيامة ذلك اليوم الذي لايجدون من دونه ملجأ ينجون فيه من العقاب.

وفي قصة النبي موسى (عليه السلام) مع العبد الصالح ورد لفظ (سَــربا) في قوله تعالى: ((**فلمّا بَلَغا مَجمع بينِــهما نَســيا حوتَهما فاتخذ سبيلَه فــي البحــر ســرَباً** ۝٦١)). ((والسَّــرَب، المسلك والمذهب، ومعنــاه في اللغة: المحفور في الأرض لا نفاذ له، ويُقال للذاهب في الأرض: سارب(٥٦))). وكأنّه هنا شبّه السبيل الذي اتخذه الحوت داخل الماء بالسرب الذي يسلكه السالك فيغيب فيه(٥٧) .

وورد لفظ (الصَــدَفان) في قصة ذي القرنين، إذ قال تعالى: ((**آتــوني زبَــر الحديدِ حتى إذا ساوى بين الصّــدَفين قال انفخوا حتى جعله ناراً قــال آتــوني**

أفرغ عليه قِطراً ﴿٩٦﴾)) **الكهف**. والصّدفان تثنية الصدَف، وهو أحد جانبي الجبل، إلاّ أنّه لا يُقال إلا اذا كان هناك جبل آخر بجانبه[٥٨]. وسُمّي جانبا الجبل بالصّدفين لأنهما يتصادفان، أي يتقابلان[٥٩]. وهذا يعني أنّ الصّدفين هما سفحا الجبلين المتقابلين.

واللفظ الأخير الذي سنقف عنده في سورة الكهف هو ((جنّات الفردوس)) وما الفرق بينه وبين ((جنّات عدن))؟ فقد ورد في قوله تعالى: ((**إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ كانت لهم جنّاتُ الفردوس نُزُلا** ﴿١٠٧﴾ **خالدين فيها لايبغونَ عنها حِولا** ﴿١٠٨﴾)). والفردوس هو البستان الذي يجتمع فيه التمر والزهر وسائر ما يُمتع ويلذ. وقيل هي أودية في الجنة تنبت ضروباً من النبت[٦٠]. وقيل هي كلمة غير عربية وأصلها (فرداسا) ومعناه الكرم[٦١].

أما (جنّاتُ عدن) الواردة في السورة نفسها، في قوله تعالى: ((**أولئك لهم جنّات عدنٍ تجري من تحتهم الأنهار**.....﴿٣١﴾)). فلفظ (عَدْن) يقصد به الإستقرار والثبات، وعَدَنَ بمكان كذا: استقرّ فيه، ومنه المعدن يُقال في مستقر الجواهر[٦٢]. وقيل: عَدْن بطنان الجنة، أي وسطها، وهي جنة من الجنان، وقوله تعالى: ((أولئك لهم جنّاتُ عدن)) أي إقامة لهم، لأنّهم يبقون ببقاء الله دائما أبداً[٦٣].

ومما تقدم يتبيّن الإختلاف الدقيق بين جنات الفردوس، وجنّات عدن، إذ أنّ الأخيرة تتضمن معنى الإقامة الأبدية، والإستقرار في الجنّة، أما الأولى– جنّات الفردوس– فلا تتضمن هذا المعنى، ولذلك احتاجت الى لفظ آخر يثبت إقامة المؤمنين فيها، فقال تعالى في الآية التالية لها مباشرة: ((خالدين فيها .....)).

٢– <u>الدلالة العامة</u>

ويُقصد به الدلالات السياقية، والمعاني العامة التي أفادتها السورة. وتحت هذا العنوان سيتم توضيح نقطتين مهمتين، الأولى: المعاني العامة للقصص الواردة في سورة الكهف، والثانية الأفكار التي تتضمّنها هذه القصص.

أ- القصص التي تضمنتها سورة الكهف:

وسنتناول هذه القصص بحسب ترتيب الآيات الواردة في سورة الكهف وهي أربع قصص: أصحاب الكهف، صاحب الجنتين، موسى والعبد الصالح، ذو القرنين.

١) قصة أصحاب الكهف:

توضّح هذه السورة أحوال أصحاب الكهف، وهم فتية آمنوا بالله تعالى، وكانوا يخفون إيمانهم خوفاً من ملكهم دقيانوس(٦٤)، وكان يعبد الأصنام ويدعو اليها، ويقتل من خالفه. وقيل أنّه كان مجوسياً يدعو الى دين المجوس(٦٥). وكان الفتية على دين المسيح لمّا برح أهل الإنجيل. وقيل أنهم كانوا من خواص الملك. وكان كل واحد منهم يسرّ إيمانه عن صاحبه، ثم اتفق أنهم اجتمعوا وأظهروا أمرهم، فأووا الى الكهف. وحكم الله لهم بالفتوة؛ لأنّ الفتوة رأس الإيمان – وقيل الفتوة هي اجتناب المحارم، واستعمال المكارم(٦٦).

ويبيّن الله تعالى أنّه قد شدّ عليهم بالألطاف والخواطر المقوية للإيمان، حتى وطّنوا أنفسهم على إظهار الحق، والثبات على الدين، والصبر على المشاق، ومفارقة الوطن، وذلك حين قاموا- بين يدي ملكهم الجبار دقيانوس- فقالوا: ربّنا الذي نعبده خالق السموات والأرض لن نعبد إلهاً سواه، لأننا إن دعونا معه تعالى إلهاً آخر، فلقد قلنا إذا قولاً مجاوزاً للحق وغاية في البطلان، وهؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها، فهلاّ يأتون بحجة ظاهرة على عبادتهم غير الله وإشراكهم به، فهذا الشرك ظلم وافتراء.

ثم قال أحدهم- وهو رئيس أصحاب الكهف- لأصحابه(٦٧): إذا اعتزلتم الأصنام ولم تعتزلوا الله ولا عبادته فأووا الى الكهف، وأجعلوه مأوى لكم، ليبسط عليكم ربكم من نعمته، ويُهيّء لكم من أمركم مِرْفقا، فيسهّل عليكم ما تخافونه من الملك ويأتيكم باليسر والرفق واللطف، ويصلح لكم من أمر معاشكم ما ترضون به.

وقد لبث هؤلاء الفتية- مع كلبهم- ثلاثمئة وازدادوا تسعاً، وفي هذه الفترة الطويلة كانت الشمس تميل وقت طلوعها عن كهفهم الى جهة اليمين، وإذا غربت تعدِل عنهم وتتركهم الى جهة الشمال، فلا تدخل كهفهم الواسع، كما كان نسيم الريح يمرّ بهم، وهذا بسبب اختيار الباريء أفضل وأصلح المواضع في الكهف(٦٨).

ويبيّن الله تعالى أنّه لو أمكن الإنسان الإطلاع عليهم لوجدهم يقظين متنبهين، إلاّ أنّهم في الحقيقة نائمون، وذلك لأنّهم مُفتّحو العيون، يتنفسّون، كما أنهم ينقلبون كما ينقلب النائم تارة عن اليمين وتارة عن الشمال، لأنّهم لو لم ينقلبوا لأكلتهم الأرض، ولبليت ثيابهم لطول مكثهم على جانب واحد، ومكث كلبهم معهم بغير طعام ولا شراب ولا نوم ولا قيام، وكان باسطاً ذراعيه بفناء الكهف(٦٩).

وهم بهذا المنظر- أي أصحاب الكهف- لو اطّلع الإنسان عليهم لولّى هرباً لشدّة خوفه منهم، وذلك ليمنع الله تعالى من الوصول اليهم حتى يبلغ الكتاب أجله منهم، وليكونوا محروسين من كل سوء(٧٠).

وبعد أن بعثهم الله من رقودهم تساءلوا فيما بينهم: كم نمنا؟ فقال بعضهم: يوماً أو بعض يوم، ثم قال رئيس الفتية لأصحابه: ((ربّكم أعلم بما لبثتم))، ثم قال: فليذهب أحدكم بهذه الدراهم- وهي دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم(٧١)- ولينظر الطعام الأطهر، فليأتِ برزق منه، وليتلطف في الشراء، وليدقق النظر ويتحيّل كي لا يشعر به أحد، لأنّهم إن علموا بمكانكم فإنّهم سيقتلونكم بالرجم، أو يردّونكم الى دينهم، ومتى فعلتم فلن تفلحوا ولن تفوزوا بشيء من الخير(٧٢).

ثم يبيّن الله تعالى أنه أعثرأهل المدينة عليهم، وكان ملك هذه المدينة رجلاً صالحاً، وكان الناس على عهده أحزاباً، فمنهم من يؤمن بالله، ويعلم أنّ الساعة حق، ومنهم من يكذب، فلما بلغ الملك خبرهم حمد الله وركب اليهم، وكان أهل المدينة معه، فاطّلعوا على أمرهم أيضاً، ليعلموا أنّ وعد الله بالبعث والثواب والعقاب هو وعد حق، وأنّ القيامة لا شك فيها، فمن يقدر أن يُنيم جماعة تلك المدة الطويلة، ثم يوقظهم، قادر أيضاً على أن يميت الناس جميعاً، ثم يحييهم بعد ذلك.

ولما دخل الملك عليهم مع الناس وجعلوا يسألونهم سقطوا ميتين[٧٣]، إذ لم يعيشوا بعد الإنبعاث إلاّ سويعات[٧٤]. فقال الملك: إنّ هذا لشيء عجيب، فما ترون؟ فاختلفوا، فقال بعضهم: ابنوا عليهم بنياناً كما تبنى المقابر، واستروهم من الناس، وقال الملك المؤمن وأصحابه: لنتخذنّ عليهم مسجداً يتعبّد الناس فيه ببركات أصحاب الكهف[٧٥].

وقد بيّن الله تعالى تنازع الناس في عدد أصحاب الكهف، فمنهم مَن يقول: ثلاثة رابعهم كلبهم، ومنهم من يقول: خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون سبعة وثامنهم كلبهم، وقول المسلمين هو الرأي الأرجح، لأنّ الله ذكر عبارة ((رجماً بالغيب)) بعد الرأيين الأول والثاني.

٢) قصة صاحب الجنتين:

بعد ذلك ضرب الله تعالى مثلاً قصة (صاحب الجنتين)، التي أراد الله من خلالها أن يدعو الناس الى طاعته، ويزجرهم عن معصيته وكفران نعمته. وتتحدث هذه القصة عن رجليين، أحدهما كان غنياً له بستانان كبيران كثيرا الثمار، والآخر كان فقيراً مؤمناً وجاراً لهذا الرجل الغني.

وقد وصف الله بستاني الرجل الغني بأنّهما جنتان محفوفتان بالنخيل ومزروعتان بالعنب والتمر، وأنواع أخرى من الزرع المختلف، وأن كل واحدة قد أتت غلّتها، وأخرجت ثمرتها، ولم ينقص منه شيء، وقد شقّ الله وسط الجنتين نهراً يسقيهما، حتى يكون الماء قريباً منهما، ويصل إليهما من غير كدٍّ وتعب، فيكون زرعهما بدوام الماء فيهما أوفى وأروى، وكان لهذا الرجل ثمر يملكه من غير جنّتيه[٧٦]، فقال الغني المتكبر لصاحبه المؤمن وهو يخاطبه: ((**أنا أكثر منكَ مالاً وأعزُّ نفرا** ﴿٣٤﴾))الكهف. أي أعزّ عشيرة ورهطا[٧٧]. ودخل جنته وهو ظالم لنفسه بعدم إيمانه واستعلائه على صاحبه. فقال: ((**لا أظنُّ أن تبيدَ هذهِ أبدا** ﴿٣٥﴾)) الكهف. وهو بهذا

القول يفصح عن عدم إيمانه بالآخرة ولا بالساعة ولا يحسب الساعة آتيــة، ولــئن كانت القيامة والبعث– كما يقول الفقير المؤمن– فلأجدَنّ خيراً من هذه الجنة.

فكان جواب المؤمن: ((**أكفَرْتَ بالذي خلقك من ترابٍ ثم من نطفة ثــم ســوّاك رَجُلا** ﴿٣٧﴾)) **الكهف**. فنقلك من حال الى حال، حتى جعلك بشراً سوّيا، ((لكنّي أقولُ هو اللهُ ربّي وخالقي، فإن افتخرت عليّ بدنياك، فإنّ افتخاري عليك بالتوحيــد، إذ أنّي لا أشرك بربّي أحدا، ثم قال الفقير لجاره الغني: هلاّ حين دخلت بستانك فرأيت تلك الثمار والزرع شكرت الله تعالى، وقلت: ماشاء الله كان، وإنّي بــالرغم مــن تعبي في جمعه وعمارته، فإنّ ذلك لم يكن لولا قدرة الله وتيسيره، ولو أراد الله أن يحول بيني وبين ذلك لنزع البركة عنه. ثم قال: فإن كنت تراني– اليوم– أنا أقــلّ منك مالاً وعشيرة وولداً، فلعل اللهُ يؤتيني بستاناً خيراً من بستانك في الآخرة أو في الدنيا والآخرة، ويرسل على جنتيك عذاباً أو ناراً من السماء فيحرقها فتصبح أرضاً ملساء مستوية لا نبات عليها، تزلق عنها القدم، فتصير أضرّ بعد أن كانــت أنقــع أرض، أو يغور ماء أرضك في باطنها فينقطع الماء عن الزرع بعد أن كانت أوجد أرض للماء، فلن تقدر على طلبه لتسقي به الأرض.

فأحاط الله العذاب بشجره ونخيله فأهلكه عن آخره، فأصبح الغني المتكبر يقلــب كفــّيه تأسّــفاً وتحســّراً على ما أنفق فيها من المال، فيضرب يديه واحدة علــى الأخرى، ويقول: يا ليتني لم أشرك بربّي أحداً.

ثم بيّن تعالى أنّه هو الذي يتولى أمر عباده، ويملك النصرة لمن أراد، وقولــه: ((هنالك الولاية)) إشارة الى يوم القيامة[٧٨]، فهناك ينصر الله المــؤمنين، ويخــذل الكافرين، فالولاية يومئذ خالصة لله لا يملكها أحد من عباده، وطاعته خير عاقبــة من طاعة غيره.

٣)<u>قصة النبي موسى ((عليه السلام)) والعبد الصالح:</u>

ثم ذكر الله قصة النبي موسى ((عليه السلام)) والعبد الصالح، إذ يُروى أنّ النبــي موسى بن عمران ((عليه السلام)) قام خطيباً في بني إسرائيل، فســُئل: أيّ الناس

أعلم؟ قال أنا، فعتب الله عليه، إذ لم يردّ العلم إليه، فأوحى الله إليه أنّ لي عبداً في مجمع البحرين هو أعلم منك، فقال موسى: يارب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل، ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون[٧٩]، فتزودوا حوتاً، ثم انطلقا يمشيان على شاطيء البحر حتى انتهيا الى صخرة على ساحل البحر– عند الموضع الذي يجتمع فيه رأس البحرين– فأويا اليها، وعند هذا الموضع عين ماء، يروى أنها تُسمى عين الحياة[٨٠]، فجلس فتى موسى وتوضأ من تلك العين، فانتضح على الحوت شيء من ذلك الماء، فعاش ووثب الى الماء، وجعل يضرب بذنبه الماء، فكان لا يسلك طريقاً في الماء إلاّ صار ماءاً جامداً[٨١]، فلما جاوز موسى الكليم وفتاه ذلك المكان، وقيل أنهما سارا بقية يومهما وليلتهما، فلما كان من الغد، قال موسى لفتاه، آتنا غداءنا فقد لقينا من سفرنا هذا تعباً وشدّة، فقال له فتاه: أرأيت حين رجعنا الى الصخرة ونزلنا هناك، فإني تركت الحوت وفقدته، ونسيت أن أذكر لك أمره[٨٢]، ثم اعتذر، وقال: ما أنسانيه إلاّ الشيطان، فقال موسى ((عليه السلام)) لفتاه: ذلك ما كنا نطلب من العلامة، فرَجَعا وعادا في الطريق الذي جاءا منه يقصّان آثارهما، ((حتى انتهيا الى مدخل الحوت، ووصلا الصخرة فوجدا رجلاً مسجى بثوب، فسلّم عليه موسى، فقال هذا الرجل– ويروى أنّه الخضر ((عليه السلام)): وأنّى بأرضك السلام ؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال نعم، أتيتك لتُعلّمني مما عُلّمْتَ رُشْدا، قال: إنك لن تستطيع معي صبرا، ياموسى، إني على علمٍ من علم الله لا تعلمه علّمنيه، وأنت على علم من علم الله علمك لا أعلمه أنا، فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمرا فقال له العبد الصالح: ((فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرّت سفينة وكلّموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر (العبد الصالح) فحملوه بغير نَوْلٍ))[٨٣]، فلما ركبا السفينة تفاجأ موسى بالعبد الصالح وهو يقلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: أتخرق السفينة لِتغرق أهلها، وقد حملونا بغير نَوْل، لقد جئت بداهية عظيمة[٨٤]، فقال له العبد الصالح: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا، قال موسى: لا

تؤاخذني بنسياني الوعد وغفلتي عنه ولا تكلّفني عسراً من أمري. ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان إذ أبصر العبد الصالح غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ رأس هذا الغلام بيده فأقلعه، فقتله، فقال له موسى: أقتلت نفساً بريئة من الذنوب- المستوجبة للقتل- بغير قصاص؟ لقد جئت شيئاً يستنكره الطبع ولا يعرفه المجتمع(٨٥). فقال له العبد الصالح: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا، قال موسى: وهذه أشد من الأولى، فقتل النفس أفظع وأفجع عند الناس من خرق السفينة، ولكن إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني، ثم سارا حتى وصلا قرية فسألا أهلها طعاماً، فلم يضيّفهما أحد، فوجدا في هذه القرية جداراً يشرف على الهدم والإنقضاض، فسوّاه العبد الصالح بيده فاستقام، فقال له موسى: لو شئت لعملت هذا بأجر تأخذه منهم، حتى تسدّ به جوعتنا، فقال له العبد الصالح: هذا فراق بيني وبينك، سأنبئك وأفسّر لك مالم تستطع عليه صبرا، أما سبب خرق السفينة فهو أنها كانت لفقراء لا شيء لهم يكفيهم قد سكنتهم قلة ذات أيديهم، وهم يعملون بها في البحر ويتعيّشون بها، فأردت أن أحدث فيها عيباً، وكان هناك ملكاً يأخذ كل سفينة غصباً، فخرقتها؛ لأن الملك إذا رآها منخرقة تركها، ورقعها أهلها بقطعة من خشب فانتفعوا بها(٨٦). وأما الغلام فكان كافراً وأبواه مؤمنين، ولذلك قتلته؛ لأنّه إن بقي يرهق والديه بطغيانه وكفره، ويباشر مالا يمكنهما منعه منه، فيحملهما على الذب عنه والتعصب له، فأردنا بذلك أن يبدلهما الله ولداً خيراً منه ديناً وطهارة وصلاحاً، وأكثر رحمة وبراً بوالديه(٨٧).

وأما الجدار فإنّما أقمته لأنّه كان لغلامين يتيمين في القرية، وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما رجلاً صالحاً، فلأجل صلاح هذا الأب ولكرامته على الله حفظ الله الغلامين، وأراد أن يبلغا الوقت الذي يعرفان فيه نفع أنفسهما وحفظ مالهما(٨٨)، وهو أن يكبرا ويعقلا ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك. وما فعلت هذه الأفعال بأمري، وإنّما بأمر الله تعالى، وذلك تأويل ما ثقل عليك مشاهدته ورؤيته، فاستنكرته.

٤) قصة ذي القرنين:

والقصة الأخيرة في هذه السورة المباركة هي قصة (ذي القرنين). وقد اختلف في سبب اطلاق هذا الإسم على صاحب القصة، فعن الحسن: أنه كان له ضفيرتان[٨٩]، وعن يعلي بن عبيد: أنه كان على رأسه شبه القرنين تواريه العمامة[٩٠]، وعن الزهري: أنه بلغ قطري الأرض من المشرق الى المغرب فسُمي بذلك؛ لاستيلائه على قرني الشمس من مغربها ومن مطلعها[٩١]، وعن علي ((عليه السلام)): أنه أمر قومه بتقوى الله فضربوا على قرنه ضربة بالسيف، فغاب عنهم ما شاء الله، ثم رجع إليهم فدعاهم الى الله فضربوه على قرنه الآخر بالسيف، ولذلك سُمي بهذا الإسم[٩٢]. ومن الآراء الأخرى في سبب تسميته بـ (ذي القرنين) أنه عاش قرنين، فانقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي[٩٣]، ومنها أنه كان من أهل بيت الشرف من جهة أمّه ومن جهة أبيه[٩٤]. أو أن القرنين يرمزان الى مصدرين متفاوتين متكاملين من مصادر القوة المادية، والقوة الروحانية المنبثقة من شدة الإيمان بالله[٩٥].

أما قصته، فيُذكر الله في سورة الكهف أنّه عبد من عباده الصالحين، بسط الله له الأرض وملّكه حتى استولى عليها وقام بمصالحها، فمدّ له في الأسباب وبسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء، وكذلك بسط له الأرض وحزونها، وسهّل عليه المسير فيها، حتى تمكّن منها أنّى شاء، وأعطاه الله من كل شيء علماً يتسبب في إرادته[٩٦]، ويبلغ حاجته، ويستعين به على محاربة الأعداء. وقد انتهى ذو القرنين الى آخر العمارة من جانب المغرب، وبلغ قوماً لم يكن وراءهم أحد الى موضع غروب الشمس[٩٧]. ولما بلغ ذو القرنين هذا الموضع تراءى له كأن الشمس تغرب في عين حمئة، طينها أسود منتن، فمن كان في البحر يراها كأنها تغرب في الماء، ومن كان في البر يراها كأنها تغرب في الأرض الملساء[٩٨].

ووجدوا ذا القرنين عند هذه العين ناساً- يدل ظاهر الكلام على أنهم كفار- فخيّره الله بين أن يقتل من أقام منهم على الشرك، أو أن يعفو عنهم ويكتفي بأسرهم، ليعلمهم الهدى ويستنقذهم من العمى. فقال ذو القرنين: أما من كفر

فسأعذبه عذاباً شديداً، ثم يُردّ الى ربّه فيعذبّه عذاباً منكراً لا عهد له به من قبل. وأما من آمن وعمل صالحاً فله الحسنىجزاء، وسنقول له من أمرنا قولاً جميلاً، وسنأمره بما يتيسّر، ولا يؤاخذ على ما معنى من كفره.

ثم اتبع ذو القرنين طريقاً آخر من الأرض؛ ليؤديه الى مطلع الشمس ويوصله الى المشرق- أي بلغ موضع ابتداء العمارة من الجانب الذي تطلع منه الشمس(٩٩)، فوجدها تطلع على قومٍ يعيشون على الصعيد من غير أن يكون لهم بيوت يأوون إليها ويستترون بها من الشمس(١٠٠)؛ لأنّ أرضهم لم يكن يثبت عليها بناء(١٠١). فكانوا إذا طلعت الشمس يغورون في المياه، وإذا غربت تصرفوا في أمورهم(١٠٢).

ثم اتبع مسلكاً بالغاً مما يبلغه قطراً من أقطار الأرض، إذ سلك طريقاً آخر حتى بلغ بين السدّين ، وهما الجبلان اللذان ردم بينهما، وهناك وجد قوم يأجوج ومأجوج، وهم قوم لا يفقهون كلام أحد، ولا يفهم الناس كلامهم، كما أنهم مفسدون في الأرض، فعرض الناس على ذي القرنين أن يعطوه من أموالهم على أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائطاً يسدّ الفجوة التي بين الجبلين، فقال ذو القرنين: ما مكنّي الله، وبما أعطاني من قوة وأموال وسعة في الخير سأعمل، فأعينوني بقوة من الرجال الشجعان- وقيل أعينوني بآلة العمل، وهو زبر الحديد والصفر(١٠٣)- لأجعل بينكم وبينهم ردماً، وهو السدّ المتراكم بعضه على بعض(١٠٤). فأعطوه قطع الحديد، فوضعها بين جانبي الجبلين، وطلب منهم أن ينفخوا النار على الحديد؛ لتصبح هذه الزبر قطعة واحدة يلازم بعضها بعضاً، ثم أعطوه نحاساً مذاباً صبّه على الجبلين ليسدّ الفتحة التي بينهما، فتصير جداراً مصمتاً. ولم يستطع قوم يأجوج ومأجوج أن يصعدوه لكثافته وصلابته. فكان هذا السدّ نعمة من الله لعباده، إذ دفع عنهم شرّ هؤلاء القوم المفسدين.

فاذا جاء وقت أشراط الساعة، وقت خروجهم الذي قدّره الله تعالى جعل هذا السدّ دكاً، فيصير أرضا مستوية مع الأرض، ويخرجون قوم يأجوج ومأجوج على الناس، فينشفون المياه، ويتحصّن الناس في حصونهم خوفاً منهم. ويرمي القوم

المفسدون سهامهم الى السماء، فترجع وفيها كهيئة الدماء، فيقولون: قد قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء. ويكون ذلك الحال حتى ينفخ في الصور[١٠٥].

ب- الأفكار التي تضمنتها القصص في سورة الكهف:

ذكرنا سابقاً إن القصة عنصر مهم يوظّف لبيان مضمونات النص القرآني، وتُعَدّ الأفكار من المضمونات المهمة التي تسعى القصة القرآنية الى توضيحها، وتقريبها الى ذهن القاريء.

وحين نقرأ سورة الكهف، ونطلع على القصص الأربع، نجد أنّ أصحاب الكهف آثروا عبادة الله والخضوع والتسليم له على زينة الحياة الدنيا والإشراك بالله. وفي قصة صاحب الجنتين نجده قد آثر الحياة الدنيا والتفاخر بزينتها على التفاخر بعبادته لله وإطاعته، فكان مصيره أن فقد هذه الزينة الزائلة. وفي قصة ذي القرنين بيّن النص القرآني أنه رجل مؤمن قوي مكّنه الله وأعطاه من كل شيء علماً يتسبب في إرادته، فاستطاع بذلك أن يملك الشرق والغرب، إلا أنّه لم يتأثر بمظاهر الحياة الدنيا المغرية وزينتها الزائلة.

ومن هذا تتضح الفكرة الرئيسة في هذه القصص الثلاث هي نبذ زينة الحياة الدنيا، والسعي وراء زينة الحياة الآخرة، وهي فكرة لم تتضح بصورة مباشرة، على ا لرغم من أنّ الله سبحانه وتعالى- بعد قصتي أصحاب الكهف وصاحب الجنتين- قال: ((**المالُ والبنون زينةُ الحياةِ الدُنيا والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عندَ ربِّكَ ثواباً وخيرٌ أملاً**)) **الكهف**. وهذا يعني تأكيده تعالى لهذه الفكرة.

ومن الأفكار الأخرى في هذه السورة هي الإيمان بالله والتسليم له في كل الأمور، وطاعته وعدم الإشراك به، فهو القادر على خلق الناس وموتهم وبعثهم من جديد ونشورهم وحسابهم يوم القيامة، وهذا يتضح في سورة أصحاب الكهف. كما أن الله هو القادر على رزق العباد وإسباغ نعمه عليهم، وهو القادر على أخذ هذه النعمة؛ لاختبار عباده المؤمنين، أو لغضبه على عباده عند كفرهم بهذه النعمة

وعدم شكرهم عليها، وهذه الفكرة تتضح بصورة غير مباشرة في قصة صاحب الجنتين.

أما الفكرة التي تضمنتها قصة النبي موسى ((عليه السلام)) والعبد الصالح فهي أن الغيب لا يعلمه إلاّ الله، إذ أن ما يعلمه الأنبياء من معلومات غيبية فهي بايحاء من الله إليهم، وأنّ الإنسان مهما بلغ علمه فهناك من هو أعلم منه وهو الله.

وكانت الفكرة الأخرى- في قصة ذي القرنين- هي تسخير كل القوى في سبيل الله، فالقوى العقلية والجسمية والمادية والإجتماعية كلها رزق من الله، وتمكين منه تعالى ليختبر الإنسان أيكفر أم يشكر؟ وسعي الإنسان الى الخير واستغلال قواه في سبيل الله هو شكرلله على نعمه وتمكينه له- في الحياة الدنيا.

ومن الأفكار الأخرى التي تتضح في قصص سورة الكهف هي أن الله لا يضيع أجر عامل، فإن كان خيراً جزاه خيراً، في الدنيا أوالآخرة أو في كليهما.

ويمكن أن نستنتج فكرة أخرى في قصة أصحاب الكهف هي فكرة (الإعجاز) إذ أنامهم الله ثلاثمئة وتسع سنوات، وهو شيء مخالف لقوانين الطبيعة، لا سيّما أن المشركين لا يؤمنون بالبعث والنشور والحساب والحياة الآخرة. لذلك أعطى الله- من خلال هذه القصة- دليلاً على قدرته العظيمة وإعجازه.

وتتضمن السورة أيضاً فكرة الحمدلله، إذ يجب أن يحمد الله على جميع نعمه، كنعمة الهداية والإيمان بالله، ونعمة الرزق والتمتع بالأموال والأولاد والجاه، ونعمة العلم، ونعمة القوة والسعة في الحال ....والخ. ومن هذه الفكرة تتفرع فكرة ثانوية هي استغلال نعم الله في سبيل إحقاق الحق وإبطال الباطل.

كما تضمنت السورة- في قصة صاحب الجنتين- فكرة أخرى هي عدم الإفتخار على من هم أقل منا علماً أو مالاً وولدا، أو من هم أقل قوة، بل يجب احترامهم، ومعاملتهم بما يرضي الله. ولا يجب أن يكون التفاخر إلاّ بعبادة الله والإيمان به. كما يجب عدم الإستعلاء على الله، فهو خالقنا وهو رازقنا.

ومن الأفكار المهمة الأخرى هي الصبر، سواء كان عند البلاء، أو عند التعلم، فلا بّد أن يتحلى الإنسان بهذه الصفة المهمة، لأن الصبر من الإيمان، وهو أول

الطريق المؤدي الى تحقيق الآمال ،وتتضح هذه الفكرة جليا في قصة النبي موسى (عليه السلام)والعبد الصالح.

فهذه الأفكار المهمة التي يمكن أن نستنتجها من سورة الكهف، والله أعلم.

((المبحث الثاني))

دراســـة تشكيل المشـــاهد في قصص سورة الكهف

حين نقرأ سورة الكهف نجدها من السور التي عرضت الأفكار فـــي شـــكل قصص تفتح القلب والعقل على مواضع العبرة والعظة التي هي غاية كبرى في فنّ القصص القرآني، وهي في ذلك– أي القصص– تلتزم المنهج الـــواقعي والصـــدق والتزام الحق في سرد الأحداث وتصوير الواقع بكل صدق والتزام، إذ أنّ تصوير الخرافات والأساطير مما لا يليق بجلاله وسمو ومصدره.

وقد صورت هذه القصص التفاوت عند الناس بين الإيمان والكفـــر، والطاعـــة والمعصية، والهدى والضلالة، والخير والشر، وكان هذا التصوير في مشاهد، كل واحد منها له القدرة على التواصل والتداخل مع البنى المجاورة له فـــي المبنـــى القصصي، مثله في ذلك كمثل الجملة عندما تسبك مفرداتها وعلائقها بالسياق مـــن حولها. فجاءت كل قصة عبارة عن وحدة قائمة بذاتها، وفي الوقت نفســـه تـــرتبط بالقصص الأخرى في السورة ذاتها لتشكل وحدة موضوعية واحدة.

والقصة القرآنية هي ليست مجرد شكل فني يستقل بذاته، بل هي وســـيلة مـــن وسائل التبليغ والدعوة والهداية، وهي أسلوب من أساليب البيان.

وما سنلاحظه عند دراسة القصص الأربع في سورة الكهف أن الغيب بمختلف مستوياته يشكل وحدة دلالية تحكم هذه القصص، إلاّ أن درجة حضور هذه الوحدة وكيفيتها تختلف من قصة لأخرى.

فقصة أصحاب الكهف يكشف عنها القص بمقدار الرواية المنقولة، ولا يتوارى الغيب في حركة مفرداتها وتناميها من البداية الى النهاية.

وقصة صاحب الجنتين جاءت مشاهدها في مكان واحد، وهو الجنتين، إلاّ أننا لم نعرف مَن هذين الشخصيتين المتحاورين في القصة، كما لم نعرف العصر الــذي عاشا فيه.

وقصة ذي القرنين تمثل وجهاً آخر من دلالات الغيب وأجوائه، إلاّ أن الحــدث يتشكل في مكان متحرك، تنتقل معه الأحداث، وهي تنسج بناءاً إعجازياً تحتكم إليه الجزئيات، فضلاً عن الكليات.

ويماثل هذه القصة في هذه الجزئية من البناء قصة النبي موسى ((عليه السلام)) والعبد الصالح، مع فارقين، أحدهما: التحديد النسبي للشخصيات. وثانيهما: اتســام الأحداث بالطابع التعليمي.

على أنّ هذه القصص تتماثل في النهاية في تشكيل مشاهدها الذي يعتمد علــى التجريد عن الزمان والمكان والشخصيات، لتؤدي آفاقاً أوسع في التعبير والدلالــة والإيحاء، وليرسم التغييب هنا في مشاركة بنائية مع الحدث مشاهد تشكيلية تتجاوز مؤشرات التحييز الى ما ورائها.

والقرآن الكريم يعضد أجواء الغيب في هذه السورة، ويعزز حركتــه التــي يكشف عنها بمقدار خلال خاتمة السورة التي جاءت في صــيغة حــوار خطــابي تعليمي استشرافي لما ستنطق به النبوة الشريفة، في قوله تعالى: ((**قُــلْ إنّمــا أنــا بَشَــرٌ مثلُــكُمْ يوحى إليّ إنما إلهُــكم إلهٌ واحداً فمَنْ كــان يرجــو لقــاء ربّــه فــلْــيَعمَلْ عَملاً صالحاً ولا يُــشركْ بعبادةِ ربّهِ أحداً**[١١٠])) **الكهف.**

واذا أردنا دراسة المشهد المحكيّ الأقوال من الناحية الشكلية في قصص سورة الكهف، فلا بُدّ لنا من التعرف الى الحوار الخارجي، إذ أنّه النوع الأكثر حضوراً، فهو يمثل الدراما الناطقة، كما يمثل مع الحوار الداخلي الشكل الخالص للمشهد.

والحوار هنا يشكل مشاهد الذروة والصراع في فعل القص[١٠٦]. وهي مشــاهد تبنى في مضمونها على المراحل الإنتقالية في حياة الشخصــيات، أو فــي مســار الحدث. وهذه المشاهد تكون أوضح في القصص القصيرة كقصة أصحاب الكهــف وقصة ذي القرنين، وفي القصص التمثيلية مثل قصة صــحاب الجنتــين، وفــي

الحلقات المستقلة في الحدث من قصص الأنبياء عليهم السلام مثل قصة موسى ((عليه السلام)) والعبد الصالح الطوّاف معه[١٠٧].

ويتسم هذا النوع من الحوار بالحركة التي تتوالد بين أطراف الحديث لتُحدث نقلة أساسية في تطوير المحكي داخل بنية المشهد، وتؤزم المواقف المعروضة بين افتتاح المشهد وغلقه.

ويقوم الحوار هنا بتجسيد المواقف والأفعال، كما يضفي على الشخصية الطابع الدرامي، ويؤدي بذلك الى أن يوافق البناء الشكلي للمشهد مضمونه المراد توضيحه. فيكون بذلك نوعاً من أنواع التعبير والإيحاء الذي يؤدي وظيفتين، الأولى: سردية: تقوم بنقل الحدث من ضفة الى أخرى. والثانية: مشهدية: تعرض الحدث ماثلاً أمام القاريء.

وتتضمن سورة الكهف نوعين من الحوارات:

١) الحوارات القيمية[١٠٨]: وهي التي تنهض بمهمة التجلية عن الخواص المتناقضة في النفس الإنسانية، كما في قصة صاحب الجنتين.

٢) الحوارات العقيدية[١٠٩]: وهي التي تقوم بمهمة التجلية عن المراحل الإنسانية، كما في قصة أصحاب الكهف، وذي القرنين[١١٠].

وتُعَدّ قصص (أصحاب الكهف، صاحب الجنتين، وذي القرنين) من القصص القرآني غير المتكامل، أي لم تُوزّع أحداثه في عدة سور، حتى تصبح كل حادثة عبارة عن حلقة من حلقات القصة، وإنما ذُكرت القصة مرة واحدة في سورة واحدة هي سورة الكهف. أما قصة موسى ((عليه السلام)) والعبد الصالح فهي تُعدّ حلقة من حلقات قصة النبي موسى ((عليه السلام)). إذ أن الحلقات الأخرى من هذه القصة تتوزع في سور أخرى من القرآن الكريم، لتكوّن بمجموعها قصة متكاملة عن النبي موسى ((عليه السلام)).

وحين نقرأ قصة أصحاب الكهف نجد أن الحركة في بناء المشهد القصصي هي العامل الأساس في تشكيله، إذ لا وجود لأي سمة أخرى في التشكيل، فالمشهد

يتصف بالصمت، فالصمت هنا له وظيفة درامية، ويُعــدّ جزءاً من الفعل القصصي في زمن السرد.

وقد تكون هذه الحركة في أفعال الأشخاص، أو في العناصر الطبيعية كالليل، والنهــار، والشــمس .....الــخ، أو العناصــر الصــناعية مثــل الســفينة، الفلك.....الخ[١١١]. فهذه العناصر جميعها تسهم في تجسيد نمو الزمن، والإنتقال بين أجزاء المشهد. وهذا يتضح في المشهد الوصفي في قصة أصحاب الكهف، إذ قال تعالى: ((**وترى الشمسَ اذا طــلَعَتْ تَزاورُ عن كهفهم ذات اليمين واذا غربَتْ تقرضُهم ذات الشمالِ وهم في فجوةٍ منه ذلك من آيات الله مَــن يهــدِ الله فهــو المُــهْــتَدِ ومن يُضلِلْ فلن تجد له ولياً مُرشداً﴿١٧﴾ وتحسبُهُم أيْقاظاً وهُم رُقــودٌ ونُــقــلِّــبُهُم ذاتَ اليمين وذاتَ الشمالِ وكلبُهم باســطٌ ذراعَيْــهِ بالوصــيد لــو اطَّــلَعْت عليهــم لَوَلَّيتَ منهم فِراراً ولَمُــلِئْتَ منهم رُعْبَاً﴿١٨﴾**)) **الكهف**. فالمشهد هنا قد افتتح بالفعل ((ترى))، وهذا يُعدّ من أهم القــرائن الدالّــة علــى الوصــف البصري، ولذلك نجد أن معظم المقاطع الوصفية تفتتح بعبارات دالّة تتضمن أفعالاً تدلّ على الرؤية[١١٢]. كما نلاحظ أن الفعل ((ترى)) مسند الى المخاطَب، وموجّــه الى مُــتلَقّ مباشر، أي لو أنّه قُــدّر لك أن تكون هناك وتطلّع عليهم، فإنّك سترى الصورة التي هم عليها، وبهذا نجد أن الرواية التي تنقل لنا هذا المشهد تصوّر لنــا الوقائع وكأنّها تُحكى على لسان شخص يجلس في مقابل الغار ينظر اليهم[١١٣].

والمشهد هنا يتحرك في فعل الرؤية في ثلاثة مستويات:

١) المستوى الخارجي العام ((**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عــن كهفهــم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال**)). إذ نرى الكهف وقد توســط ذلــك الفعل الكوني الحركي لحركة الشمس بين الشروق والغروب، وهما حركتان بعيــدتان في الزمن، غير أن الدمج بينهما في الخطاب اللغوي جعلهما في بنية واحدة.

٢) المستوى الخارجي الخاص، وذلك عند الإقتراب من فجوة الكهف تلمح وجوداً إنسانياً في ذلك المكان المعزول ((وهم في فجوةٍ منه))[١١٤].

٣) المستوى الداخلي، إذ يكون الكهف إطاراً للمشهد، فنرى أصحابه راقدين فيه، وقد توسط كلبهم فجوة الكهف، وهو مستوى يتطلّب إنارة خاصة تؤديها الأفعال ((تزاور))، و ((تقرضهم))، فلكي تحقق رؤية الأشياء المراد وصفها لا بدّ من وجود إضاءة كافية تساعد المتلقي على التقاط جزئيات المشهد[١١٥]. وهذا يتضح من خلال حركية الظل والضوء ودورهما في تشكيل المشهد[١١٦]، الذي صورته ألفاظ القرآن الكريم في سهولة غريبة ومعجزة[١١٧].

إنّ المشهد هنا يؤكد فاعلية الرؤية، والدفق الحركي، والنمو المتوازن من خلال رفد اللغة لأجزائه بعناصر متوالدة مثل ((تزاور))، ((تقرضهم))، ((نقلبهم))، فضلاً عن تأكيد جانب المشاهدة في الإفتتاح ((وترى))، والختام ((لو اطلعت عليهم)) ليكون ما بين دفتي المشهد منظوراً مستحضراً، فضلاً عن أنه يؤكد صفة الصمت، فلا أصوات بشرية ولا أصوات صادرة عن مسميات الطبيعة الحاضرة في المشهد، لتتضح من خلاله العزلة والإنزواء اللذان كان فيهما مكان الكهف، وليبيّن بذلك الأسباب الموضوعة في عدم العثور عليهم طيلة هذه المدة.

وفي هذه القصة لم يُصرّح القرآن الكريم بمكان الكهف، ولا المدينة التي خرج منها هؤلاء الفتية، والتي قصدوها بعد بعثهم من نومهم، كما لم يُحدّد عددهم ولا زمانهم. وقد أُشير ضمنياً الى طول مكثهم في الكهف في إشارة غير محددة في قوله تعالى: ((**فَضَرَبْنا على آذانهم في الكهفِ سنينَ عدداً**)) **الكهف**. وكان ذلك قبل سرد مشاهد هذه القصة، ثم كشف سبحانه وتعالى عن طول هذه المدة بعد نهاية القصة في إشارة محددة ، بقوله تعالى: ((**ولبثوا في كهفهم ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعاً**[٢٥])) **الكهف**. وفي هذه المدة الزمنية قيمة وظيفية عالية في القصة، إذ أنها توضح مدة المكث، كما تدل على أنّ الزمن كان موضع تساؤل. وعلى الرغم من التصريح بهذه المدة الزمنية، إلاّ أن طابع التغييب يبقى هو السمة البارزة في هذه القصة، إذ قال تعالى: ((**قُلِ اللهُ أعْلَمُ بما لبثوا لهُ غَيْبُ السمواتِ والأرضِ أبْصِرْ بهم وأسمِعْ مالهم من دونهِ من وليٍّ ولا يُشركُ في حُكمِه أحَداً**[٢٦])) **الكهف**.

أما بالنسبة لعددهم، فقد ذكر القرآن الإختلاف في أصحاب الكهف، وذلك بقوله جلّ وعلا: ((**سيقولون ثلاثة رابعُهم كلبُهم ويقولون خمسة سادسُهم كلبُهم رَجْماً بالغَيْبِ ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قُلْ ربّي أعْلَمُ بِعدّتِهم وما يعلمُهم إلاّ قليلٌ** .....[٢٢])) **الكهف**. وهنا وإن أشير الى ترجيح القول الأخير، من خلال تعليقه على القولين السابقين له بأنّهما ((رجماً بالغيب))، إلاّ أنّ عدم التصريح بالعدد يتضح في قوله: ((**قُلْ ربّي أعلَمُ بعدّتِهم**)).

وهنا نجد طابع التغييب الذي اتسمت به القصة يناسب هذا النمط من الصياغة الذي لا يكشف عن المغيبات إلا بمقدار، وذلك يتضح من خلال العبارات الواردة في القصة ((قُلْ الله أعلم بما لبثوا))، ((قُلْ ربّي أعلَمُ بعدّتِهم)).

أما في المشهد الأخير من قصة أصحاب الكهف فنجده أشبه بالجلسة التحاورية التي تقوم على المقترحات المختلفة في تنازع أو تساؤل، أو تشاور، وذلك عند وفاة أصحاب الكهف، ووقوف الناس عند أمرهم، فنجدهم يتنازعون بينهم، وهذا يتضح في قوله تعالى: ((**وكذلك أعْثَرْنا عليهم ليعلموا أن وَعْدَ اللهِ حقٌ وأنّ الساعة لا ريْبَ فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا: ابنوا عليهم بُنياناً ربُّهم أعلَمُ بهم. قال الذين غلَبوا على أمرهِمْ: لَنَتّخِذَنّ عليهم مسجداً** [٢١])) **الكهف**. فمشهد الحوار هنا يتحرك بالتناوب في مسارين متوازيين، إذ أنّ الأول منهما يقترح بناء بنيان لم تُحدد ما هيته، يضم رفات أصحاب الكهف. أما الثاني فيرى أن يكون هذا البنيان مقاماً تشريفياً (مسجداً). إذ أن ما رآه (الذين غلبوا على أمرهم) من حال أصحاب الكهف وما عرفوه من قصتهم جعلهم يقترحون تكريماً يناسب تشريفهم لهذه الفتية المؤمنة[١١٨].

وعلى الرغم من احتواء النص القصصي لهذين الإقتراحين، إلاّ أنّه لم يحدّد الرأي الذي اتخذته الجماعة، ليناسب هذا التغييب الجو الشعوري العام في هذه القصة، حيث تغييب العدد والزمان والمكان والأسماء.

أما في قصة صاحب الجنتين فنجد أن المشهد الوصفي جاء ساكناً، إذ تتوالى النعوت في تشكيله دون حركة في تدفق الزمن الى الأمام، فقد قال تعالى:

((**واضربْ لهم مثلاً رجلَــيْنِ جَعلْنا لأحدهما جنّتين من أعنابٍ وحَــفَفْناهما بــنخلٍ وجعلْنا بينهما زَرْعاً ﴿٣٢﴾ كلتا الجنّتَيْنِ آتَتْ أُكُــلَها ولم تُــظلِم منه شيئاً وفجرّنا خلالَهما نَهَــرا ﴿٣٣﴾ وكان له ثَمَرٌ فقال لصاحبه وهو يُحاورُه أنا أكثرَ منكَ مــالاً وأعَزُّ نَــفَراً ﴿٣٤﴾**)) **الكهف**. فالمشهد هنا قدّم أرضية معرفية للحيّز المكاني الذي يؤطر الأحداث المعروضة في المشاهد اللاحقة، وهو يحدد مكان الحدث– الــذي يشكل أهم مقومات الصراع– وكأننا نراه ، ونسجل أهم تفصــيلات مــن خــلال العبارات ((جنتين من أعناب))، ((حففناهما بنخل))، ((جعلنــا بينهمــا زرعــاً))، ((وفجرّنا خلالهما نَهَرا)). كما أنّه يحدد زمان الحدث بقوله: ((وكان له ثَمَرٌ)) أي وقت الغلّة وجني الثمر. وقدّم المشهد أيضاً شخصيته صاحب الجنتين من خــلال إعطاء الملامح المركزية لها، وهو رجل غني متكبّر غير مؤمن.

وبهذا تكون هذه الوقفة الوصفية التي شكلت مشهداً وصفياً ساكناً فــي هــذه القصة قد أدت وظيفة تعبيرية، جمعت بين الغرض الفني والهدف الديني.ثم يــأتي بعد ذلك مشهد حواري يتضمن تعليقاً حُكمياً يَســِم به صاحب الجنتــين بــالظلم، وذلك في قوله تعالى: ((**ودخل جنتَه وهو ظالمٌ لنفســِه قال ما أظنُّ أن تَبيدَ هــذهِ أبداً ﴿٣٥﴾**)) **الكهف**. فالعبارة الحُكمية ((وهو ظالمٌ لنفسِه)) تلقي بظلالها على كل الحوارات التي حرّكها هذا الرجل المتكبّر، كما تسهم في نمو المشهد وتوجيه مسار الحدث المعروض.

كما نجد أنّ شخصية صاحب الجنتين ترسم توجهاتها منطلقة من الحاضر الذي تعيشه، ومستبعدة ما وراءه، بل إننا نجد هذه الشخصية قد جعلــت مــن مكانتهــا الواهمة في الحاضر مسوّغاً الى مكانتها في العالم الآخر[١١٩]، ويتضح ذلــك فــي المشهد الذي صوره النص القرآني: ((**وما أظن الساعة قائمة ولئن رُدِدْت الى ربّي لأجدَنَّ خيراً منها مُنْقَلَباً ﴿٣٦﴾**)) **الكهف**.

ثم يأتي ردّ الشخصية الثانية في القصة وهي شخصية فقيرة متمسّكة بإيمانهــا، حاولت سحب العرض الى الزمن الماضي بكل دلالاته، والذي كان سبباً الى ماهو

حاضر. وهذا الرّد يتضح في قوله تعالى: ((**قال له صاحبُهُ وهُوض يحاورُه أكفَرْتَ بالذي خلقَكَ من ترابٍ ثم نطفة ثم سوّاك رجُلاً ﴿٣٧﴾ لكنّا هو اللّه ربّي ولا أشــرك بربّي أحَداً ﴿٣٨﴾ ولولا إذ دخلْتَ جنّتَك قُلْتَ ما شاءَ اللهُ لا قوّة إلاّ باللهِ إن تَرَنِ أنا أقلَّ منك مالاً وولــَداً فعَسى ربّي أن يؤتيَنِي خيْراً من جنتِك ويرسِلَ عليهــا حُسْــبانا فَتُصــْبحَ صعيداً زَلَقاً ﴿٣٩﴾ ويُصبحَ ماؤها غوْراً فلن تســتطيع لــه طلَبــاً ﴿٤٠﴾**)) **الكهف.**

وهذا الحوار يبين الصراع بين الشخصيتين المتناقضتين والــذي ينمــو نحــو الذروة، كما يهيء للمشهد الأخير من القصة.....

ويأتي المشهد الأخير من القصة ليضع أمامنا النهاية المتوقعة، في اليوم الذي ينكشف صبحه عن حدَث مروّع حيث الدمار والخراب الذي أصاب الجنتين، والذي صوّره تعالى بقوله: ((**وأحيط بثمرهِ فأصبحَ يُقلّبُ كفَّيهِ على ما أنفقَ فيها وهــي خاويةٌ على عروشِــها ويقولُ ياليتــني لم أشــركْ بربّــي أحداً ﴿٤٢﴾**)) **الكهف.** وهنا يتضمن المشهد مستويات مختلفة في حكي الأحداث، إذ أننــا نجــد وصــفاً خارجياً لحيّز الحدث ((وأحيط بثمرهِ))ثم وصفالهيئة الفاعل ((فأصبحَ يقلّــبُ كفَّيْهِ على ما أنْــفَقَ فيها)) ثم بين السبب في هذه الحركة ((وهي خاوية على عروشها)) ليؤدي ذلك كله الى النتيجة الطبيعية وهي الندم، ومحاسبة النفس التي تتضح فــي النص القرآني ((يا ليتني لم أشرك بــرِبّي أحَداً)) وهو حوار داخلي بين صــاحب الجنتين ونفسه.

ثم تأتي قصة النبي موسى ((عليه السلام)) والعبد الصالح، وهي حلقــة مــن حياة موسى ((عليه السلام)) لم تُذكر إلاّ في هذا الموضع من سورة الكهف. وهذه القصة تختلف عن القصتين السابقتين– في هذه السورة– في أمرين، الأول: ظهور شخصية معروفة، وهو نبي الله موسى ((عليه السلام))، أي أن فيها تحديداً نســبياً للشخصيات. والثاني: طغيان الصفة التعليمية على القصة، إذ يتوزع الحدث فيهــا في مفردات تلامس جوانب الحكمة والحلم والتفكــّر والتبصر. فقد ابتدأت القصــة بحوار يشكل مشهداً تمهيدياً للقاء الحكمة والعلم عند مجمع البحرين، ويبتديء هذا

المشهد بالنص القرآني: ((**وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمْضي حُقُباً** ﴿٦٠﴾)) **الكهف**. وهنا لم يُحدّد المكان الذي وقعت فيه هذه القصة إلاّ بأنه مجمع البحرين، كما لم يحدد التاريخ الذي وقعت فيه، أكان ذلك في مصر قبل خروجه ببني إسرائيل؟ أم بعد خروجه بهم منها الى الأرض المقدسة؟ فالتركيز هنا يكون على العِبَر المستخلصة من القصة، ولذلك تُروى في إطار مجرد من التاريخ والمكان(١٢٠)، كما لم تحدد شخصيتي فتى موسى، والعبد الصالح. أما وقت اللقاء به فقد كان عند اتخاذ الحوت سبيله في البحر. قال تعالى: ((**فلمّا بَلَغا مَجْمَعا بينهما نَسِيا حوتَهما فاتخذَ سبيلَه في البحر سَرَباً** ﴿٦١﴾ **فلمّا جاوزا قال لِفتاه آتِنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نَصَباً** ﴿٦٢﴾ **قال أرأيت إذ أوَيْنا الى الصخرةِ فإنّي نسيتُ الحوتَ وما أنسنيه إلاّ الشيطانُ أنْ أذكرَهُ واتّخذَ سبيلَهُ في البحرِ عَجَباً** ﴿٦٣﴾ **قال ذلك ما كنّا نبغ فارتدّا على آثارهما قصصاً** ﴿٦٤﴾)) **الكهف**.

تبين هذه الآيات أن موسى ((عليه السلام)) أدرك أنّه جاوز الموعد المكاني الذي حدده الله سبحانه وتعالى للقاء عبده الصالح، فهو هنالك عند الصخرة حيث مجمع البحرين مكان التقاء النبوة بالحكمة المتجسدة بمن أطلعه الخالق على شيء من الغيب.

وفي هذا المشهد التمهيدي يقوم الحدث بوظيفة تقديم المعلومات لمشاهد الذروة في القصة، كما يكون المشهد منفتحاً في القصة على أحداث المشاهد القادمة التي مهدّ لها.

فيأتي المشهد الذي يلتقي فيه موسى ((عليه السلام)) بالعبد الصالح، عند مجمع البحرين عند الصخرة، وعندها تغيب شخصية فتى موسى من رحلات طلب العلم والحكمة، قال تعالى: ((**فوَجَدا عبداً من عبادِنا آتيناهُ رحمةً من عندِنا وعلّمناه من لدُنّا عِلْماً** ﴿٦٥﴾))**الكهف**. وبعد هذا اللقاء ينفرد موسى ((عليه السلام)) بالعبد الصالح لينطلقا في الرحلات التعليمية، التي حدد فيها العبد الصالح شروط التعليم، التي تتضح في المحاورة الآتية:

((قال له موسى: هل اتّبِعُكَ على أنْ تُعَـلِّمَنِ مِـمّا عُـلِّـمْتَ رُشْداً[٦٦]

قال: إنّكَ لن تستطيعَ معيَ صبراً[٦٧] وكيف تصبرُ على مالم تُحـِطْ بهِ خُـبْراً[٦٨]

قال: ستَـجِـدُني إن شاءَ اللهُ صابراً ولا أعصي لكَ أمراً[٦٩]

قال: فإنِ اتّبَـعْتَني فلا تسألْـني عن شيءٍ حتى أُحْدِثَ لـكَ منـه ذِكـراً [٧٠]))

الكهف.

وبعد ذلك تأتي مشاهد الأحداث التعليمية، والتي تقدّم المعلم (العبد الصـالح)، والمتعلّم (النبي موسى عليه السلام)، ومصادرالعلم (الـرحلات) التـي اعتمـدت عنصر المفاجأة والمباغتة في تقديم المعلومات، وهو ما ينسجم مـع المعلومـات الغيبية التي تعرضها المشاهد، والتي تظهر أو تُحجب بالمقدار الذي تقتضيه مشيئة الخالق.

ويأتي المشهد الأول من هذه الرحلات التعليمية، وقد كانت السفينة مـادة الحدث فيه، قال تعالى: **((فانْطَـلَقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها**

قال: أخَرقتَـها لـِتُغرق أهلَها لقد جئت شيئاً إمراً[٧١]

قال: ألم أقُلْ لك إنّكَ لن تستطيعَ معي صَبْراً[٧٢]

قال: لا تؤاخذني بما نسيتُ ولا تُرهـِقْني من أمري عُـسْـراً[٧٣])) الكهف.

ويأتي المشهد الثاني، وقد كان الغلام فيه مادة للحـدث [٤٦]، قـال تعـالى: **((فانْطَـلَقا حتى إذا لَقِـيا غلاماً فقتَلَهُ،**

قال: أقتلت نفساً زكية بـِغَيْرِ نَفْسٍ لقد جِـئتَ شيئاً نُكْراً[٧٤]

قال: ألم أقُلْ لك إنّكَ لن تستطيعَ معي صَبْراً [٧٥]

قال: إن سألتُكَ عن شيءٍ بعدَها فلا تُصاحبْني قد بلَغْتُ من لدُنّي عُذْراً [٧٦])) الكهف.

ويأتي المشهد الثالث– من الرحلات– الذي يتضمن جـزئين، الأول منهمـا يمثل الجدار فيه مادة للحدث، قال تعالى: **((فانطلقا حتى إذا أتَيَا أهل قرية استطعما أهلها فأبَوا أن يضيفوهما فوجدا فيه جداراً يُريدُ أن ينقضّ فأقامَه**

قال: لو شئتَ لاتخذْتَ عليه أجْراً[٧٧]

قال: هذا فراقُ بيني وبينِك سأنَبِّئُكَ بتأويلِ مالم تستطِعْ عليهِ صَبْراً ﴿٧٨﴾)) الكهف.

بعد ذلك يأتي الجزء الثاني من المشهد الأخير في هذه الحلقة من قصة النبي موسى ((عليه السلام))، وفي هذا الجزء يقدم العبد الصالح تأويلاً يوضح فيه القرائن الغيبية التي أسهمت بحركتها في تشكيل أحداث المشاهد الثلاث. قال تعالى: **((أما السفينةُ فكانَتْ لمساكينَ يعملونَ في البحر فأردْتُ أنْ أعيبَها وكانَ وراءَهم ملكٌ يأخذُ كلَّ سفينةٍ غَصْباً ﴿٧٩﴾وأما الغلامُ فكان أبَواه مؤمنين فخَشينا أنْ يُرهقهما طغياناً وكُفْراً ﴿٨٠﴾فأرَدْنا أنْ يبدِلَهما ربُّهما خيراً منهُ زكاةً وأقربُ رُحْماً ﴿٨١﴾وأما الجدارُ فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحتهُ كنزٌ لهما وكان أبوهُما صالحاً فأراد ربُّك أن يبلُغا أشُدَّهما ويستخرجا كنزهما رحمةً من ربِّك وما فعلتُهُ عن أمري ذلك تأويلُ مالم تَسْطِعْ عليهِ صَبْراً﴿٨٢﴾))** الكهف.

والحدث هنا يؤشر نشاطاً تأويليا لحركة الأحداث التي سبقته، فهو كالنافذة التي يطل منها المتلقي على تراكمات العقدة الفنية، وقد حُلّت خيوطها، ووضعت كل مغيّباتها في مستوى القراءة.

وفي هذه القصة نجد أن الصياغة البنائية الفنية التي اعتمدها النص القرآني كانت بمثابة الكاميرا التي تتابع الحدث، وتقدم المعلومات الى المتلقي فجعلته يرى الحدث بعين الكاميرا، فلو أخذنا عبارة ((فانطلقا حتى إذا)) التي كثر حضورها في السياق، نجدها قد أدت الى زيادة إيقاع القص سرعة وتوالي جزئيات الحدث.

وفي القصة الأخيرة من سورة الكهف نجد الشخصية الرئيسة المركزية تقدّم مقرونة بلازمة تعريفية توصيفية (ذي القرنين)، دون التعرض الى ذكر اسمه أو مكانه أو زمن ظهوره.

والقصة هنا تقدم ثلاثة مقاطع حدثية مستقلة في العرض والغرض، يجمع بينها حضور شخصية ذي القرنين. والوقائع فيها تنمو وتنتهي في كل مقطع من المقاطع. وتبدأ القصة بقوله تعالى: **((ويسألونك عن ذي القرنين قُلْ سأتلو عليكم منه ذكراً ﴿٨٣﴾ إنّا مكنّا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً﴿٨٤﴾))** الكهف.

وفي هذا النص تعريف بالشخصية بما يتناسب مع وحدات النص المشهدي من

ناحية، وبما يحقق قيمة درامية مضافة للحدث من ناحية، فهي شخصية تعرف معنى العدل الذي تستقر به الحياة، وتعرف معنى النجدة، وأعطاه الله من أسباب القوة ما مكنه من ردّ كيد المعتدين.

بعد ذلك يبدأ المشهد الأول من القصة بقوله تعالى: ((**فأتبعَ سبباً ٨٥ حتى إذا بلغَ مغربَ الشمسِ وجدَها تغرُبُ في عينٍ حمئةٍ ووجدَ عندها قوماً قلْنا: يا ذا القرنينِ إمّا أن تُعذّبَ وإمّا أن تتخذَ فيهم حُسناً ٨٦**

قال: أما مَن ظلمَ فسوفَ نُعذّبُه ثم يُرَدّ الى ربِّه فيُعذّبُه عذاباً نُكراً ٨٧

وأمّا من آمنَ وعَمِلَ صالحاً فلهُ جزاءاً الحُسنى وسنقولُ له مِن أمرنا يُسراً ٨٨))**الكهف.**

ثم يأتي المشهد الثاني في صيغة ملخصة بسبب اختفاء أثر الموقف الحركي الذي تتخذه الشخصية، ولذلك جاء في صيغة خبر أو حكاية.

قال تعالى: ((**فأتبع سبباً ٨٩ حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعلْ لهم من دونها ستراً ٩٠ كذلك وقد أحطنا بما لديه خُبراً ٩١**))**الكهف.**

وفي المشهد الثالث قال تعالى: ((**ثم اتبعَ سبباً ٩٢ حتى إذا بلغ بين السدّين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً ٩٣**

قالوا: ياذا القرنين إنّ يأجوجَ ومأجوجَ مُفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعلَ بيننا وبينهم سدّاً ٩٤

قال: ما مكنّي فيه ربّي خيرٌ فأعينوني بقوةٍ أجعل بينكم وبينهم ردماً ٩٥ آتوني زُبرالحديد [حتى اذا ساوى بين الصدَفين]

قال انفخوا [حتى إذا جعله ناراً]

قال: آتوني أفرغ عليه قِطراً ٩٦ [فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نَقباً] ٩٧

قال: هذا رحمةٌ من ربّي فإذا جاء وعدُ ربّي جعلهُ دكّاءَ وكان وعدُ ربّي حقّا ٩٨))

الكهف.

وفي هذه القصة يستمر التغييب ذاته الذي كان في القصص السابقة إذ لم تذكر العناصر غير المقصودة من وراء القصة. وربما كان السبب في ذلك أن

المقصود من هذه القصة العبرة المستفاد منها، وهي يمكن أن تتحقق دون حاجة الى تحديد الزمان والمكان، على الرغم من أن ورود بعض الأماكن ((مغرب الشمس)) وهو المكان الذي يرى الرأي فيها أن الشمس تغرب عنده وراء الأفق. وكذلك ((مطلع الشمس)) هو مكان شروق الشمس، إلاّ أنّه لم يحدّد المكان، ولكنه وصف طبيعته، وحال القوم الذين وجدهم ذو القرنين، وهذا المكان مكشوف تطلع الشمس على القوم فيه بلا ساتر، وكأنّ هذا المكان من الصحاري والسهول الواسعة.

والمكان هنا يجسد الحكمة التي تعامل على وفقها ذو القرنين، إذ أن مهمته– كما يوضح النص القرآني– هي استغلال قوته في محاربة الظلم، ومساعدة الضعفاء، والوقوف معهم، وحمايتهم من الباغين.

الخاتمـــــــة

تناول هذا البحث أربع قصص وردت في سورة الكهف، هي قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة موسى ((عليه السلام)) والعبد الصالح، وقصة ذي القرنين. وقسّم البحث الى مبحثين مهمين،هما :المبحث الدلالي ،وقد بيّنا فيه الدلالة المعجمية لأهم الكلمات،مع توضيح الفروق الدقيقة بين معاني بعض الكلمات،كما وضحنا أسباب تكرار بعض الكلمات أكثر من مرة في السورة .ثم وضحنا الدلالة السياقية ،والمعاني العامة التي أفادتها السورة ،فتناول هذا القسم من البحث شرحا للقصص الواردة في السورة ،كما تعرض البحث للأفكار التي يمكن استنتاجها من هذه القصص.

أما المبحث الآخر فهو دراسة في تشكيل المشاهد في قصص سورة الكهف ، اذ نجدأن هذه القصص تتماثل في النهاية في تشكيل مشاهدها الذي يعتمد على التجريد عن الزمان والمكان والشخصيات.وبهذا يكون البحث قد حلل هذه القصص دلا ليا ،كما حلل مشاهدها،وتوصل الى هذه النتائج:

١- منهج القرآن المتبع في هذه القصص هو المنهج الوصفي، فهناك وصف للشخصيات أو الأماكن. والعبارة الحُكمية الوحيدة وردت في قصة صاحب الجنتين ((وهو ظالم لنفسهِ)).

٢- كانت الفكرة الرئيسة التي تضمنتها السورة هي نبذ زينة الحياة الدنيا والسعي وراء زينة الحياة الأخرى، من خلال الإيمان بالله وطاعته، وبذل الغالي والنفيس في سبيله.وهذه الفكرة تتضح في قصة أصحاب الكهف،وقصة صاحب الجنتين .

٣- الفكرة المهمة الأخرى في هذه السورة هي الإيمان بأن الغيب لا يعلمه إلا الله، وأنّ العلم بالغيب يكون بإيحاء من الله.وهذه الفكرة تتضح في قصة البي موسى (عليه السلام) والعبد الصالح .

٤- اعتمدت هذه القصص في تشكيل مشاهدها على التجريد عن الزمان والمكان والشخصيات.

٥- تختلف قصة موسى والعبد الصالح بأنّها ذات طابع تعليمي، وأنها حددت احدى شخصيات القصة المهمة.

٦- تضمنت سورة الكهف نوعين من الحوارات:الحوارات القيمية كما في قصة صاحب الجنتين ،والحوارات العقيديةكما في قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين .

واللـــــه وليّ التوفيق

الهوامـــــش

١- ينظر علم الدلالة ٥

٢- ينظر علم الدلالة عند ابن جني ١٦٧

٣- ينظر علم الدلالة ٣٣

٤- ينظر العين ١/ ٤٢٣- ولسان العرب ٢/ ٥٨٣- ومفردات ألفاظ القرآن ٢٥٦

٥- ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٧٣

٦- ينظر الميزان ١/٨- ومجمع البيان ٦/ ٣٥٥

٧- ينظر العين ٢/ ٧٧٥- ولسان العرب ٤/ ٤٥١- ومفردات ألفاظ القرآن ٣٨٨

٨- الميزان في تفسير القرآن ١٣/ ٢٥٧

٩- ينظر الفاصلة في القرآن ٢٧٩

١٠- من قضايا الشعر المعاصر ٢٥٠

١١- ينظر العين ٢/ ٩٨٨- والميزان ١٣/ ٢٥٧

١٢- ينظر الميزان ١٣/ ٢٥٨

١٣- ينظر ألفاظ القرآن ١٩١

١٤- ينظر العين٣/ ٧٦٠- ولسان العرب ٤/ ٣٩٣- ومعجم ألفاظ القرآن ٣٨٢

١٥- الميزان ١٣/ ٢٥٦- وينظر العين ١/١٣٨- والكشاف ٢/ ٤٧٣

١٦- ينظر الميزان ١٣/ ٧٥٦، ٢٥٧

١٧- العين ٣/ ١٦٠٢

١٨- المرشد الى فهم أشعار العرب ٢/٥٤

١٩- ينظر العين ١/ ٧٠٤- ومفردات ألفاظ القرآن ٣٦٢

٢٠- ينظر الميزان ١٣/ ٢٦٣

٢١- ينظر العين ٣/ ٧٧٠- ولسان العرب ٤/ ٤٣٢- ومفردات ألفاظ القـرآن ٣٨٦، ٣٨٧

٢٢- ينظر العين ٣/ ١٤٦١- ومفردات ألفاظ القرآن ٦٦٦

٢٣- الميزان ١٣/ ٢٧٣

٢٤- ينظر العين ١/ ٦٦٦- ومفردات ألفاظ القرآن ٣٤٥

٢٥- ينظر مفردات ألفاظ القرآن ٣٤٥

٢٦- ينظر الميزان ١٣/ ٢٨٧

٢٧- ينظر الكشاف ٢/ ٤٧٨

٢٨- الكشاف ٢/ ٤٧٨

٢٩- مفردات ألفاظ القرآن ٧٦٦- وينظرالميزان ١٣/ ٢٨٨، ٢٨٩

٣٠- ينظر مفردات ألفاظ القرآن ١٨٩

٣١- ينظر مفردات ألفاظ القرآن ٦٢٥

٣٢- ينظر العين ٣/ ١٣٧٢

٣٣- ينظر الكشاف ٢/ ٣٧٨

٣٤- العين ٣/ ١٦١٦

٣٥- ينظر محمع البيان ٦/ ٣٧٨- ومفردات ألفاظ القرآن ٧٣٣

٣٦- الكشاف ٢/ ٤٨١

٣٧- ينظر مجمع البيان ٦/ ٣٧٨

٣٨- ينظر مفردات ألفاظ القرآن ٣٨٥

٣٩- ينظر العين ٣/١٦٢٤- ومفردات ألفاظ القرآن ٧٣٧- والكشاف ٢/ ٤٨١

٤٠- ينظر مجمع البيان ٦/٣٨٥- والميزان ١٣/ ٣٢٣

٤١- ينظر مفردات ألفاظ القرآن ٢٦٢

٤٢- ينظر العين ١/٤٤٠- ومجمع البيان ٦/ ٣٩٩- والكشاف / ٤٨٤- والميزان ١٣/ ٣٣٢

٤٣- ينظر العين ٢/ ٩٢٨- ومجمع البيان ٦/ ٤٠٣

٤٤- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٠٣

٤٥- ينظر مفردات ألفاظ القرآن ٤٥٩

٤٦- ينظر العين ٣/ ١٣٩٦- ومفردات ألفاظ القرآن ٦٣٦

٤٧- مفردات ألفاظ القرآن ٦٣٦

٤٨- ينظر العين ٢/ ١٢٢٣- ومفردات ألفاظ القرآن ٥٧١

٤٩- ينظرمجمع البيان ٦/ ٤٠٧- والميزان ١٣/ ٣٥١

٥٠- معجم ألفاظ القرآن ٨٥٢

٥١- ينظر الميزان ١٣/ ٣٥٦

٥٢- ينظر الميزان ٦/ ٤٠٩

٥٣- ينظر الميزان١٣/٣٥٦

٥٤- ينظر معجم ألفاظ القرآن ٧٢٦، ٧٢٧

٥٥- ينظر الكشاف ٢/ ٤٨٩

٥٦- مجمع البيان ٦/ ٤١٥

٥٧- ينظر الميزان ١٣/ ٤٦٦

٥٨- ينظر الميزان ١٣/ ٣٩٢

٥٩- ينظر الكشاف ٢/ ٤٩٩

٦٠- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٥١

٦١- ينظر الميزان ١٣/ ٤٣١، ٤٣٢

٦٢- ينظر معجم ألفاظ القرآن ٥٥٣

٦٣- ينظر مجمع البيان ٦/ ٣٩١

٦٤- ينظر مجمع البيان ٦/ ٣٦٠

٦٥- ينظر مجمع البيان ٦/ ٣٦٠

٦٦- ينظر مجمع البيان ٦/ ٣٦٠- والميزان ١٣/ ٢٦٤

٦٧- مجمع البيان ٦/ ٣٦٤

٦٨- ينظر مجمع البيان ٦/ ٣٦٨- والميزان ١٣/ ٢٧٢، ٢٧٣

٦٩- ينظر الميزان ١٣/ ٣٧٤

٧٠- ينظر مجمع البيان ٦/ ٣٦٩

٧١- ينظر مجمع البيان ٦/ ٣٧١

٧٢- ينظر مجمع البيان ٦/ ٣٧١- والميزان ١٣/٢٧٩- ٢٨٠

٧٣- ينظر مجمع البيان ٦/ ٣٧٧

٧٤- ينظر الميزان ١٣/ ٢٨٣، ٢٨٤

٧٥- ينظر مجمع البيان ١٣/ ٢٧٦، ٢٧٧

٧٦- ينظر مجمع البيان ١٣/ ٢٧٦، ٢٧٧

٧٧- ينظر مجمع البيان ٦/ ٣٩٤- والميزان ١٣/ ٣٣٢

٧٨- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٠٢

٧٩- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤١٨

٨٠- ينظر مجمع البحرين ٦/ ٤١٧- والميزان ١٣/ ٣٦٤

٨١- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤١٧، ٤١٨

٨٢- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤١٧- والميزان ١٣/ ٣٦٦

٨٣- مجمع البيان ٦/ ٤١٨، ٤١٩

٨٤- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤١٩

٨٥- ينظر الميزان ١٣/ ٣٧٠

٨٦- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٣٠- والميزان ١٣/ ٣٧٤

٨٧- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٣١- والميزان ١٣/ ٣٧٤

٨٨- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٣٢- والميزان ١٣/ ٣٧٥

٨٩- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٣٥

٩٠- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٣٥

٩١- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٣٥

٩٢- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٣٥

٩٣- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٣٥

٩٤- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٣٦

٩٥- ينظر بيان النظم ٢/ ٨٧٥

٩٦- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٣٦- والميزان ١٣/ ٣٨٨

٩٧- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٣٦- والميزان ٣/ ٣٨٨

٩٨- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٣٦، ٤٣٧

٩٩- ينظر مجع البيان ٦/ ٤٣٨- والميزان ١٣/ ٣٩٠

١٠٠- ينظر الميزان ١٣/ ٣٩٠

١٠١- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٣٨

١٠٢- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٣٨

١٠٣- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٤٥

١٠٤- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٤٥

١٠٥- ينظر مجمع البيان ٦/ ٤٤٦

١٠٦- ينظر تشكيل المشاهد ١٤

١٠٧- ينظر تشكيل المشاهد ١٤

١٠٨- ينظر الظاهرة الجمالية ٩٨

١٠٩- ينظر الظاهرة الجمالية ٩٨

١١٠- ينظر تشكيل المشاهد ٤٩

١١١- ينظر بنية الشكل الروائي ١٠٨

١١٢- ينظر الأمثل ٩/ ١٩٣

١١٣- ينظر تشكيل المشاهد ٥٠

١١٤- ينظر بنية الشكل الروائي ١٨٣

١١٥- ينظر تشكيل المشاهد ٥٠

١١٦- ينظر التصوير الفني ١٥٥

١١٧- ينظر من هدى القرآن ٦/ ٣٩

١١٨- ينظر تشكيل المشاهد ١٠٠

١١٩- ينظر بيان النظم في القرآن الكريم ٢/ ٥٧٩

١٢٠- ينظر تشكيل المشاهد ١٠٩

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل- ناصر مكارم الشيرازي- مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت-ط١ -١٤١٣هـ

٣- بنية الشكل الروائي- حسن بحراوي- المركز الثقافي- ط١ -١٩٩٠م

٤- بيان النظم في القرآن الكريم- محمد فاروق الزين- توزيع دار الفكر- دمشق- ط١ - ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م

٥- تشكيل المشاهد في القصص القرآني، دراسة تحليلية- علي عبد محيي- أطروحة دكتوراه- جامعة البصرة- كلية التربية- ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م

٦- التصوير الفني في القرآن- سيد قطب- دار الشروق- ١٩٦٩م

٧- الدلالة عند ابن جني- د. عبدالكريم مجاهد عبدالرحمن- بحث في مجلة الدارة- السعودية- س٩- ع١ - ١٩٨٣م

٨- الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم- نذير حمدان- دار المنارة- جدّة- ط١ - ١٩٩١م

٩- علم الدلالة- أحمد مختار عمر- مكتبة العروبة- الكويت-١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م

١٠- العين- للخليل بن أحمد الفراهيدي- تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. ابراهيم السامرائي، تصحيح الأستاذ: أسعد الطيب- نشر أسوة- مطبعة أسوة- ط٢ - ١٤٢٥هـ - قم

١١- الفاصلة في القرآن- محمد الحسناو- ط٢ - دار عمار- عمان- ١٤٠٦هـع = ١٩٨٦م

١٢- قضايا الشعر المعاصر- نازك الملائكة- مكتبة النهضة- بغداد- ١٤٠٦هـ =١٩٨٦م

١٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل- لأبي القاسم

جار الله محمودبن عمر الزمخشري الخوارزمي- نشر آفتاب- طهران

١٤- لسان العرب- للإمام العلامة ابن منظور- طبعة مراجعة ومصححة- دار الحديث- القاهرة-١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م

١٥- مجمع البيان لعلوم القرآن- للإمام السعيد أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي- ط١ محققة- ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م- مطبعة مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع

١٦- المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها- د. عبدالله الطيب المجذوب- نشر مصطفى البابي الحلبي وأولاده- مصر- ط١ - ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م

١٧- مفردات ألفاظ القرآن الكريم- للعلاّمة الراغب الإصفهاني- تحقيق: صفوان عدنان داودي- منشورات ذوي القربى- مطبعة كيميا- ط٤ - ١٤٢٥هـ

١٨- من هدى القرآن- السيد محمد تقي المدّرسي- دار الهدى- طهران- ط١ - ١٤٠٧هـ

١٩- الميزان في تفسير القرآن- للعلاّمة السيد محمد حسين الطباطبائي- طهران- دار الكتب الإسلامية- ١٣٧٩هـ ش